الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فهذا النوع من الدروس مما لا يحتاج إلى شرح وتحليل مما هو من الوضوح بحيث يفهمه كل أحد، ولو قُرأ على عامة الناس لفهموه، قلنا قراءة وإن تيسر تعليق يسير عليها بها ونعمت، وهذا الكتاب من مؤلفات هذا الإمام الحافظ من أنفع ما يقرأه المسلم لعلاج قلبه، الفقه ينفع، الذي هو الفقه العملي يصحح أعمال الجوارح، ولا شك أن أعمال الجوارح لها أثر كبير في القلوب، لكن هذه الأدوية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة مما يعالج القلب مباشرة وانبرى لشرحها وتوضيحها الإمام ابن القيم وابن رجب رحمها الله، وكثر في كلامهم ما يتعلق بأعمال القلوب، ولشيخ الإسلام رحمه الله نصيب من ذلك ولغيرهم، ويوجد في كلام كثير من أهل العلم في ثنايا التفاسير وشروح الحديث كثير من ذلك، لكن بوضوح وجلاء يوجد في كلام ابن القيم وله مصنفات خاصة في هذا الشأن وكذلك الحافظ ابن رجب، يوجد في بعض الكتب التي لا تسلم من شوب ابتداع كإحياء علوم الدين، فيه كلام كثير على أعمال القلوب وينتفع بها ويستفاد منها بعد تصفية الكتاب أو التعليق عليه من قبل أهل العلم على مواطن المخالفات، المقصود أن هذا الكتاب هو معروف عند أهل العلم ويقرؤونه ويرددونه ويُقرأ عليهم في دروسهم، لكن اتجاه كثير من طلاب العلم إلى العقائد وهي أهم المهمات ورأس المال فيما يصحح العقيدة وأيضًا ما يتعلق بسنة النبي عليه الصلاة والسلام وفي أبوابها وكتبها كثير مما يتعلق بأعمال القلوب، وذكرنا مرارًا أن في صحيح البخاري من الأبواب التي قد لا يصل إليها طالب العلم لتأخرها مما هو بأمس الحاجة إليه، مثل: أبواب الفتن وأبواب الرقاق وغيرها من الأبواب مما يشمله حديث: (من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين) والمراد بالفقه في الدين ما هو أعم من الفقه العملي، لأن الفقه في الدين يشمل جميع أبوابه إما في هذه الأنواع مما يتعلق بأعمال القلوب، والحافظ ابن رجب رحمه الله هو زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب قالوا: وهو لقب لجده عبد الرحمن، ومما ذكروه أنه لُقب برجب لأنه ولد في رجب، ولا دليل على حقيقة سبب هذا اللقب، المقصود أن هذا هو الحاصل: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ولد سنة ٧٣٦هـ، وتوفي سنة ٧٩٥هـ، عن أقل من ستين عامًا، يعجب الإنسان حينما يرى هذا العلم المبارك المنتشر في هذا العمر مما يستدل به على أن طول العمر

إن لم يقرن بالعمل الصالح والعلم النافع أنه لا قيمة له، نعم (خيركم من طال عمره وحسن عمله) لكن وجدنا من يعيش أكثر من مائة سنة ويموت لا أثر له، ووجدنا من عاش ثلاثين سنة ونفع الله به نفعًا عظيمًا، ومن زاد على ذلك قليلاً مثل عبد الهادي ما وصل الأربعين، الحافظ الحكمي ٣٣، وعمر بن عبد العزيز ٣٩، وهكذا، المقصود أن الحافظ ولد سنة ٣٦ ومات سنة ٩٥ وألف مصنفات عظيمة جدًا يُفاد منها على سَنن وهدي صالح على طريقة السلف الصالح، ومن قرأ في كتابه شرح البخاري عرف قيمة هذا الرجل، شرح بنَفَس السلف مجرد عن التعقيد، مجرد عن الاصطلاحات الكلامية وغيرها، يشرح الحديث بالحديث وبكلام السلف الصالح، ويستنبط منه على طريقة أهل العلم على ضوء القواعد والجواد المطروقة عندهم بما يتفرد به رحمه الله، فشرحه للبخاري لو كمُل لنفع الله به نفعًا عظيمًا والموجود منه فيه بركة وفيه نفع، وله طرق في الجمع بين الأحاديث قد لا توجد عند غيره لأنه إمام حافظ مطلع، ابن حجر حافظ لكن مع ذلك طريقة ابن رجب أقرب إلى هدي السلف من طريقة ابن حجر وفي كلٍّ خير، لأنه بالمقابل أيضًا تجد في شرح ابن حجر ما يحل كثيرًا من الإشكالات مما لا تجده عند غيره، لأنه استوعب الكتاب استيعابًا كاملاً من جميع الوجوه، والكمال لله ولكتابه، لكن كتاب ابن حجر في غاية الأهمية لطالب العلم، وطريقته في الشرح على طريقة ووتيرة واحدة، فمن أول حديث إلى آخر حديث نفس النَفَس بطريقة واحدة، نفس الحجم لأن أكثر الشراح وأكثر المفسرين يبدؤون بهمة وعزيمة وينشطون في أول الكتاب وتضيع الأوقات في أول الكتاب وفي آخره يسردونه سردًا، ابن حجر لا، شرح حديث: (إنما الأعمال بالنيات) وحديث: (كلمات خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن) بنَفَس واحد، ويشرح الحديث بتوازن.

نعود إلى الحافظ ابن رجب شرحه للبخاري متقدم على شرح ابن حجر، واسمه كاسمه: فتح الباري، ونفى بعضهم مثل: همام عبد الرحيم أو همام عبد الرحيم سعيد، على كل حال الذي حقق العلل لابن رجب نفى أن يكون ابن حجر اطلع على شرح ابن رجب، ومقيد عندي في نسختي من فتح الباري لابن حجر ثلاثة مواضع نقلها من شرح ابن رجب، فهو مطلع عليه ومفيد منه، أيضًا شرَح الترمذي وله به عناية خاصة، وشرحه لو وجد لأغنى عن كثير من الشروح الموجودة ولما احتيج إلى كثير من الشروح الموجودة حتى قالوا: إن الحافظ العراقي وهو ممن شرح الترمذي كتب له يسأله عن بعض المواطن ويجيبه الحافظ ابن رجب ويفيده في ذلك، على كل حال ابن رجب شرحه مميز لأنه شرح خالي من الشوائب التي علقت في بعض الشروح التي

تولاها بعض من تفنن في جميع العلوم ودخلت عليه بعض الأمور، وشرحه للترمذي مع الأسف لم يوجد منه شيء، قالوا منه ملزمة أو شيء من هذا لكن أنا ما رأيتها لكن بقي منه شرح العلل، شرح العلل التي في آخر جامع الترمذي وحُققت أكثر من مرة، طبع في العراق في مجلد ثم طبعه همام سعيد أو عبد الرحيم في مجلدين، وطبعه نور الدين عتر في مجلدين، وفي تقديري أن تحقيق نور الدين عتر أفضل التحقيقات، مطبوع المجلدين وفيه إضافات لكلام ابن رجب من المحقق، وشرحه للعلل يدل على أنه متمكن في هذا الباب، أعني الحافظ ابن رجب، له أيضًا شرح الأربعين النووية بعد أن أكملها خمسين، وسماه: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، وشرحه هذا أيضًا فيه طول، وفيه إفاضة، وفيه استيعاب لكلام السلف في الموضوعات التي وردت في هذه الأحاديث وكل حديث منها يصلح أن يكون رسالة مثل هذه، كل حديث من الأربعين يصلح أن يكون رسالة، وأطال فيها وأفاض، له أيضًا شرح لأحاديث مفردة، مثل هذا شرح حديث: (ما ذئبان جائعان) وشرح حديث غربة الإسلام: كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة، وله: اختيار الأولى في اختصام الملأ الأعلى، وله: نور الاقتباس من مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس، وكلها كتب نافعة، وهي في حقيقتها أدوية للقلوب، وله أيضًا: القواعد في الفقه وهي على مذهب الإمام أحمد، وهو كتاب عظيم جدًا ونفيس حتى أن من ترجم له استكثر عليه أن يكون من مصنفاته هذا الكتاب، وزعم أن هذه القواعد وجدها ابن رجب منثورة في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فجمعها، وهذا الكلام ليس بصحيح ومنزلة ابن رجب من هذا وأعظم، والكتاب كبير وعظيم، وعلى طالب العلم أن يُعنى به، له أيضًا غير ذلك كتب كثيرة في التاريخ: كذيل الطبقات، ذيل الطبقات للقاضي ابن أبي يعلى في مجلدين كبيرين، وله أيضًا: كتب وعظية مثل: أهوال القبور والتخويف من النار، إلى غير ذلك من مصنفاته المعروفة في مظانها.

بعض من ترجم له رماه بالتصوف، وله كتاب أيضًا: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف، على أشهر السنة، يبدأ بمحرم وما له من وظائف ثم صفر إلى آخر السنة، شبهة من رماه بهذا الوصف الذي هو التصوف، والتصوف إن كان المراد به الزهد فهو زاهد، وهذه طريقة الحافظ أبي نعيم في الحلية حيث رمى العشرة المبشرين بالجنة بالتصوف، هو يبدأ مطلع الترجمة لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان إلى آخره بكلام مسجوع يفيد أن التصوف حقيقة ما قام به أبو بكر أو عمر أو من بعدهم، فهذا المراد به: الزهد، يقول أن ابن رجب ينقل عن كبار الصوفية في ثنايا كتبه، وهذا كلام صحيح، ينقل عن المتقدمين من الصحابة

والتابعين المعروفين بالعبادة وملازمة الطاعة، وينقل عمن بعدهم ممن رُمي بشيء من التصوف المتأخر كالجُنيد وأبي سليمان الداراني وغيرهما، وينقل عنهم أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية، ويكثر من النقل عنهم وابن القيم يكثر من النقل عنهم، فمجرد النقل لا يعني الاتباع، فالكلام الحق يُنقل عمن جاء به وكلامهم فيه نوع رقة وهم ينشدون مثل هذه الألفاظ وهذه الأساليب لأنها تؤثر في القارئ، فنقلهم عنهم لا يعني أنهم يقتدون بهم في تصوفهم الذي فيه نوع مخالفة، ومن أراد أن يعرف أن مجرد هذا النقل لا يؤثر وإن اعتبره بعضهم مؤثرًا لأنه يقول: لابد من التصفية ما ننقل إلا عن حق وعن أهل الحق، ولذلك تجدون التعليقات للشيخ حامد الفقي على مدارج السالكين ينتقد ابن القيم وبقوة لماذا ينقل عن هؤلاء، ابن القيم ينقل الكلام الحق وإن كان في بعضه شيء من التسامح لكن من أجل أن يؤثر في القارئ، هذه طريقته، والموازنة بين المنهجين في كلام الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في تقديمته لمدارج السالكين ينبغي لطالب العلم أن يطلع عليه فيعرف كيف يُنقل عن هؤلاء وكيف يُعزف عن كلام هؤلاء وهذا منهج وهذا منهج، والتصفية معروفة عند بعض أهل العلم وأنه لا ينقل إلا ما هو حق مائة بالمائة ولا يعول على غيره، ولا ينقل عمن فيه شوب بدعة هذا معروف عند بعض أهل العلم ولكن البعض الآخر يرون أن الحق يُنقل ويُذكر عمن جاء به وإن كان صاحبه متلبس بشيء من البدع.

الكتاب: شرح حديث (ما ذئبان جائعان) طُبع مرارًا، فأول ما طبع طبع بالهند قديمًا سنة ١٣٢٠هـ مع مختصر قيام الليل لمحمد بن ناصر المروزي، طبع سنة ١٣٢٠هـ في آخر الكتاب في صفحات يسيرة، المعروف أن الهنود يرصون الحروف، بخلاف طريقة المتأخرين الذين لا يخلوا بعضهم من شوب الارتزاق في نفخ الكتب، الكتاب الآن طبع فيه ثمان ورقات، وإذا حُقق قد ... لا أقل، كلام مرصوص صفحة فيها أكثر من ثلاثين سطر ولا فيها مجال لأي تعليق أو فسحة لأن يعلق عليه في أثنائه مرصوص، على كل حال هذه طريقة المتقدمين يرصون الحروف لاختصار الأوراق، ولقلة الأوراق عندهم وشحها وللتوفير على طالب العلم في حمل الكتب، وليس عندهم من الترف الموجود الآن بحيث لو حقق هذا لو تولاه بعضهم لطبع في مجلد كبير وأراد أن يعلق على كل شيء مثل ما يصنعون الآن لجاء في مجلد على طريقتهم، هذه أول طبعة للكتاب، ثم طبعه محمد منير الدمشقي في مطبعته الشهيرة المسماة بالمنيرية وهي في مصر وليست في دمشق كما زعم المحقق، هو دمشقي أصله لكنه مثل محمد رشيد رضا انتقل من سوريا إلى مصر، هذه الرسالة هي أول الرسائل في الجزء الثالث من مجموعة الرسائل المنيرية، والمجموع هذا يشتمل على عشر رسائل منها هذه

الرسالة في صدر هذا المجموع، وطبعه أيضًا محمد منير الدمشقي في ذيل الصحائف جامع بيان العلم وفضله للحافظ ابن عبد البر، لأنه ورد ذكر الحديث عند ابن عبد البر ثم طبع شرحه في أسفل الصفحات من ١٧٦ إلى أن انتهى الكتاب، ثم طبع مرارًا الطبعات الأخيرة بعضها محقق وبعضها مجرد دعوى وبعضها تحقيق جيد وبعضها ما هو أقل من ذلك وعلى كل حال مجموعة الحافظ ابن رجب موجود فيها الكتاب، وأيضًا بين أيدينا طبعة محققة تولى تحقيقها والتعليق عليها أبو القاسم عبد العظيم وهو من الاخوة الهنود وطبع الكتاب لأول مرة في أعداد من مجلة الجامعة السلفية، كانت الجامعة السلفية ثم طُبع مجموعًا.

المتن:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله عَلَى سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قال الشيخُ الإمامُ العالمُ ..."

الشيخ: وسلم؟

القارئ: بدون وسلم.

الشيخ: أنت تقرأ الموجود؟

القارئ: أقرأ الموجود نعم.

الشيخ: إفراد الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام دون السلام موجود في كلام بعض أهل العلم ومنهم الإمام مسلم، ولذا انتقده النووي في شرحه وقال: إن إفراد الصلاة دون السلام لا يتم به امتثال الأمر: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} وأطلق النووي الكراهة في إفراد الصلاة دون السلام أو السلام دون الصلاة، وأن الأصل جاء الجمع بينهما، لكن ابن حجر خص الكراهة بمن كان ديدنه ذلك بحيث يصلي دائمًا ولا يسلم أو يسلم دائمًا ولا يصلي، وأما من كان يجمع بينهما تارة فيصلي تارة ويسلم تارة هذا لا تتناوله الكراهة، نعم على كل حال هو خلاف الأولى، والنووي نفسه في ثلاثة من كتبه أفرد الصلاة دون السلام، والإمام الشافعي أفرد الصلاة دون السلام في بعض مؤلفاته، وهذا موجود في كلام أهل العلم

لاسيما إذا طال الكلام نُسي التسليم: وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، نقول وسلم أو وصلى الله وسلم مباشرة من أجل ألا ينسى، وعلى كل حال المسألة خلاف الأولى.

"قال الشيخُ الإمامُ العالِمُ العلامةُ شيخُ الإسلامِ بقيةُ السَّلفِ الكرامِ زينُ الدين أبو الفرجِ عبدُ الرحمن ابن الشيخ الإمام شِهابِ الدين أحمدَ ابنِ الشيخ الإمام ابنِ رجب البغدادي الحنبلي –رحمه الله تعالى:

خرَّجَ الإمامُ أحمدُ والنَّسائي والترمذيّ وابن حبانَ في "صحيحه" من حديث كعب بن مالكٍ الأنصاري –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:

«مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ».

قال الترمذيّ: حسنٌ صحيحٌ.

ورُوِيَ من وجهٍ آخر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– من حديث ابن عمر، وابنِ عبَّاسٍ، وأبي هريرةَ، وأسامةَ بنِ زيدٍ، وجابرٍ، وأبي سعيّد الخدريّ، وعاصمِ بن عدي الأنصاريّ –رضي الله عنهم أجمعين.

وقد ذكرتها كلَّها والكلام عليها في كتاب "شرح الترمذي".

ولفظُ حديث جابر: "مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ يَأْتِيَا فِي غَنَمٍ غَابَ رعاؤُها بأفسدَ للناس من حبِّ الشَّرفِ والمالِ لدينِ المؤمن".

وفي حديث ابن عبَّاسٍ: "حُبِّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ" بدل "الحرص"."

يقول المؤلف رحمه الله تعالى في سياق الحديث المخرج عند الإمام أحمد والترمذي والنسائي والدارمي وابن حبان، ومن حديث كعب بن مالك هذا هو الثابت وما عدا ذلك كلها فيها مقال، تكلم عليها العلماء في تخاريجهم للترمذي في قوله: (وفي الباب) وهذه الشواهد التي يذكرها الترمذي ليعتضد بها الحديث تولاها الشراح، وللحافظ ابن العراقي مصنف مستقل اسمه فتح الباب في تخريج من قال فيه الترمذي وفي الباب، والحافظ ابن حجر أيضًا كتاب آخر قريب منه، يقول: أخرج الإمام أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه قال: (ما ذئبان جائعان) ما ذئبان، ما: نافية

تعمل عمل ليس عند أهل الحجاز وهي ملغاة عند بني تميم، وهي الآن عندنا تعمل عمل ليس لأن خبرها اقترن بالباب كليس، لأنه يقول: (بأفسد) وبعد ليس غالبًا جر باء الخبر، باء تجر خبر ليس غالبًا، وما الحجازية التي تعمل عملها مثلها، وما: نافية تعمل عمل ليس، وذئبان: اسمها، وجائعان: وصف للذئبين، أرسلا: وصف ثانٍ، في زريبة متعلق في جار ومجرور، وزريبة هذه ليست عند الترمذي لذلك وضعها المحقق بين معقوفين، هي موجودة في بعض الروايات عند غير الترمذي، ولذلك هذا التحقيق ليس على المستوى المطلوب، (بأفسد لها من حرص المؤمن) الذئب معروف، يحتاج إلى تعريف الذئب؟ لا يُعرّف لأنه معروف عند الخاص والعام، والأصل فيه الهمز، الذئب بالهمز، ويُسهّل فيقال: الذيب، وقيل للكسائي: لم لا تهمز الذئب؟ قال: أخاف أن يأكلني. لأنه في قراءته بدون همز.

(ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم) يعني الواحد ما يكفي؟ الواحد قد يمل وقد يتعب فيبقي شيئًا، لكن إذا كانا اثنين فيشجع أحدهما الآخر ويقضيان على هذا القطيع كاملاً، يأكلون منه الشيء اليسير والباقي يفسدونه، يقتلونه، (ما ذئبان جائعان) يعني لو كان شبعين لكان الفساد أقل، فيكون بالتوصيف أو التشبيه مطابقًا بهذه الأوصاف التي ذكرت في هذا الحديث، (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) حرص المسلم على المال لا شك أنه يشغله عما خلق من أجله، وهو تحقيق العبودية لله جل وعلا {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} هذا الهدف من خلق الجن والإنس، وإن كان الهدف من هذه العبودية هو تحقيق التقوى {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} العبادة بجميع أنواعها توصل في النهاية إلى التقوى التي هي وصية الله جل وعلا للأولين والآخرين، والصلاة على وجهها كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يصلي تؤدي إلى التقوى وتنهى عن الفحشاء والمنكر، الصوم: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} الحج: { فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ} إذا تحققت التقوى فالحج أدى ثماره، فالتقوى هي الغاية وهي وصية الله جل وعلا للأولين والآخرين وهي خير لباس {وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ}.

إذا انشغل الإنسان عما خلق له، عن رأس ماله الذي هو الدين والعبادة والتقوى فماذا بقي له؟ خاب وخسر، لأن هذا الذي انشغل به عما هو أهم منه مما خلق من أجله لن ينفعه في دينه ولا في دنياه، فالذي يجعل الدنيا والمال مطية للآخرة هذا هو العاقل الساعي بنجاة نفسه ومصالحها، بخلاف من جعل الدين

مطية للدنيا، يتكسب من ورائه فيشبه أهل الكتاب الذين يشترون بكتبهم ثمنًا قليلاً، الدنيا كلها ثمنها قليل، كلها ثمن قليل، ولذلك الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وركعتا الصبح في دقيقتين خير من الدنيا وما فيها، نعم الدنيا {ولا تنس نصيبك من الدنيا} من أجل أن تحقق الهدف لأنه بدون دنيا بدون مال لا تستطيع أن تتعبد، فهي وسيلة وليست غاية، ومع الأسف أن بعض المسلمين على مر العصور لكنه في زمننا هذا أشد، في زمننا هذا أشد بحيث تصرف جميع الجهود والطاقات من أجل الدنيا، كبار سن في السبعين والثمانين يجتمعون في الليل إلى الصباح ينظرون في الشاشات والبورصات هذا ارتفع وهذا نزل، والنتيجة ما هي؟ ارتفع الدولار انخفض كذا، ارتفعت الشركة الفلانية وانخفضت كذا، وإذا ارتفع شيء أخذ حبة سكر وإذا انخفض شيء أخذ حبة ضغط، وهذي حياة هذي؟ بالله هل هذي حياة؟ وما النتيجة؟ يجمع المليارات ويروح ما استفاد منها بشيء، ونعرف من هذا النوع الذين يملكون مئات الملايين محجوبين عن الأكل، يأكل أكل ما فيه ملح ولا دهن ولا شيء، شيء ما يستساغ، والله المستعان.

هذه نتيجة إضاعة العمر الذي هو أغلى ما يملك- الذي هو الإنسان حقيقةً، في جمع الحطام، إفساد المال للدين هذا أمر ظاهر، يكفيه أنه قد يؤذن المؤذن وهو في تجارته، هذا المتوسط من التجار أو بعد المبتدأ يؤذن المؤذن ويتأخر وأحيانًا يفوته بعض الصلاة وأحيانًا... هذه نتيجة حب المال، والمال ليس بهدف وإنما هو وسيلة لتحقيق الهدف، فيؤخذ منه بقدر ما يحقق هذا الهدف، والشرف الذي هو الجاه، تجد بعض الناس يبذل كل ما يملك، كل ما يملك، يذل نفسه من أجل أن يصل إلى ما يطمح إليه من شرف وجاه بوظيفة أو مركز أو ما أشبه ذلك، تجده يتنازل عن كل شيء نسأل الله العافية، فيفسد عليه دينه ودنياه.

"**قال الترمذي: حسن صحيح**" وهذا الاصطلاح عند الإمام الترمذي ذكر فيه العلماء إشكال: وهو أنه يحكم على الحديث بأنه حسن بمعنى أنه لم يبلغ الغاية ثم يحكم عليه بأنه صحيح يعني بلغ الغاية، فكيف يكون حسن دون الغاية ويكون صحيحًا وصل إلى الغاية في الثبوت؟ قالوا: إن كان روي من طريقين أحدهما حسن والآخر صحيح، هذا إذا كان له أكثر من طريق، وإن كان له طريق واحد فهذا قد يكون سببه التردد من الإمام هل بلغ الصحة أو قصر دونها، وغايته أن يقول حسن أو صحيح، في كلام طويل وفيه أقوال لأهل العلم بتوجيه هذا الإشكال بلغ عند بعضهم إلى ثلاثة عشر قولاً، هذه أوضحها.

قال: "**ورُوِيَ من وجهٍ آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر، وابنِ عبَّاسٍ، وأبي هريرةَ، وأسامةَ بنِ زيدٍ، وجابرٍ، وأبي سعيّد الخدريّ، وعاصمِ بن عدي الأنصاريّ رضي الله عنهم**

أجمعين" هذه نسميها شواهد، هذه شواهد للحديث، ويوردها الترمذي وغيره من أجل التقوية، والحديث صحيح بلا شك، يقول: "**وقد ذكرتها كلها والكلام عليها في كتاب شرح الترمذي**" وقلنا أن شرح الترمذي وصفه المترجمون لابن رجب بأوصاف يستفاد منها أنه أعظم الشروح، وإن كان شرح ابن سيد الناس تكملة الحافظ العراقي كلام طيب ونفيس ومستوعب في الجملة، لكن لا ندري ما حقيقة هذا الشرح الذي بالغ العلماء بإطرائه يعني شرح ابن رجب وهو مظنة لذلك، ولفظ حديث جابر: (ما ذئبان ضاريان) الضراوة تعني القوة والشجاعة والإقدام والذي يدفع هذا كله الجوع، وفي حديث الباب: (ما ذئبان جائعان)، (ما ذئبان ضاريان باتا) في الليل، البيات في الليل، (في غنم غاب رعاؤها) يعني الرعاة الذين يدافعون عنها غابوا، (غاب رعاؤها بأفسد للناس من حب الشرف والمال لدين المؤمن).

سؤال: ...

الشيخ: يعني مثنى، لو شيء واحد ألا يمكن أن يفسد فيه شيء واحد؟ الذئبان مجتمعان، والشرف والمال يوجد هذا دون ذاك والعكس، هذا يفسده الشرف وهذا يفسده المال، والناس عمومًا ميولهم مختلفة، بعض الناس المال أغلى عليهم من نفسه، ولا يهمه شرف، يريد المال، وبعضهم يهمه الشرف ولو ضحى بجميع ما يملك هذا موجود في الناس.

سؤال: ما المقصود بالشرف يا شيخ؟

الشيخ: الجاه، واضح، الوظائف الكبيرة والمنزلة عند الناس، الشاهد في الناس من حب المال لو أعطي قسيمة فيها ثلاث مائة ريال، قد يفضل أن يجلد ثلاث مائة جلدة ولا يدفع ثلاث مائة ريال، أو يسجن ثلاثة أشهر، وبعضهم لا يطيق أن يسجن ساعة ويبذل الأموال الطائلة، وهكذا فالناس بعضهم الشرف يهلكه، وبعض الناس المال يهلكه.

سؤال: ...

الشيخ: أحمد لا شك أنه عند ابن رجب، وهو حنبلي المذهب ومتقدم على هؤلاء كلهم مقدم، وهذه طريقة بعض المخرجين، يقدم بالوفيات، فيقول رواه مالك والشافعي وأحمد والبخاري وفلان ثم يرتبهم، وبعضهم يقدم الستة ولا يقدم على البخاري أحدًا، فيبدأ بالبخاري ثم مسلم ثم بقية الستة ثم يبدأ بغيرهم من أصحاب المسانيد والسنن، وللعلماء في علوم الحديث ترتيب لكتب السنة، فيبدؤون بالصحاح ثم السنن قبل

المسانيد، ثم يذكرون المسانيد، ولذا يقول الحافظ العراقي بعد أن ذكر السنن: ودونها في رتبة ما جُعلا ... على المسانيد فيدعى الجفلا، الصحاح ما فيها إشكال، البخاري ومسلم ما يتقدمهم أحد يعني في القوة، ثم بعد ذلك السنن ثم المسانيد، لماذا قدمت السنن على المسانيد مع أن منزلة الإمام أحمد في السنة وفي الحديث أعظم من منزلة أصحاب السنن؟ لماذا؟ قالوا: ودونها في رتبة ما جُعلا ... على المسانيد فيدعى الجفلا، قالوا: إن أصحاب السنن يترجمون بأحكام شرعية، أصحاب السنن يترجمون بأحكام شرعية فصاحب الكتاب يورد من الأحاديث أقوى ما يجد للاستدلال على هذا الحكم الذي ترجم به، بينما صاحب المسند يترجم باسم صحابي، هل يورد أقوى ما يجد لإثبات الصحبة؟ أحاديث أبي بكر الصديق هل يلزم منه أن يورد أقوى ما يجد من الأحاديث من رواية أبي بكر؟ هو ليس بحاجة إلى إثبات صحبة أبي بكر أو اسم أبي بكر، بخلاف ما إذا ترجم بحكم شرعي فوظيفته أن يستدل لهذا الحكم الشرعي والمطلوب أن يستدل بأقوى ما يجد، ولذلك جعلوا رتبة المسانيد دون رتبة السنن، والمؤلف رحمه الله باعتبار أنه حنبلي المذهب، والإمام أحمد لا شك أنه إمام أهل السنة، ويحفظ من السنة ما لا يحفظه غيره سبع مائة ألف حديث، يعني أكثر من جميع البرامج الموجودة، شخص واحد، جميع البرامج الموجودة الآن ما وصلت إلى ما حفظه الإمام أحمد شخص واحد، على كل حال لو قيل لماذا قدم النسائي على الترمذي والترمذي قبل النسائي في الوقت؟ النسائي آخر أصحاب الكتب الستة ٣٠٣هـ متوفى، والترمذي قبله ٢٧٩هـ، على كل حال الترتيب إما لكون سنن النسائي أنظف أسانيد من سنن الترمذي، فالترمذي خرج أحاديث لبعض من رمي بالكذب، لهذا السبب ابن حبان منزلة ما دون الستة معروفة وإن كان صحيح ابن حبان وفيه من التساهل ما فيه لكنه في الجملة يصفو منه صحيح كثير.

سؤال: ...

الشيخ: لا أنا لا أرى إلا أنه لكونه أنظف أسانيد، الترمذي خرج لمحمد بن سعيد المصلوب مرمي بالكذب وغيره، وشرط النسائي أقوى من شرط الترمذي.

سؤال: ...

الشيخ: هذا لفظ الترمذي، قال الترمذي: حسن صحيح، هذا كلام الترمذي كله، لكن لا شك أن أسانيد النسائي في الجملة أنظف من أسانيد الترمذي، الترمذي أخرج لبعض المتهمين بخلاف النسائي وشرطه في الرجال أشد.

يقول: "**وقد ذكرتها كلَّها والكلام عليها**" يعني على أسانيدها ومتونها "**في كتاب شرح الترمذي**"، والحديث خرجه الحافظ ابن عبد البر كما قلنا في جامع بيان العلم وفضله، والطابع لجامع بيان العلم طبع الكتاب شرح حديث ما ذئبان جائعان في ذيل صحائف جامع بيان العلم وفضله.

قال رحمه الله في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "**حب المال والشرف بدل الحرص**" والحب لا شك أنه يتناول درجات الحب التي من ضمنها الحرص، قد يكون الحب مع الحرص ويصل إلى درجة البخل مع حب الجمع والشح، فهذه درجات إذا وصل إلى درجة الحرص على الجمع والشح وعدم الإنفاق من المال لا شك أنه يكون حينئذ وبالاً عليه ونقصًا في دينه.

"فهذا مثلٌ عظيم جدًّا ضربه النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– لفسادِ دينِ المسلم بالحرص عَلَى المالِ والشَّرفِ في الدُّنْيَا، وإن فسادَ الدِّين بذلك ليسَ بدونِ فسادِ الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيا في الغنمِ، وقد غابَ عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلانِ في الغنمِ ويفترسانِ فيها.

ومعلومٌ أنّه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليلٌ، فأخبرَ النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– أَنَّ حرصَ المرءِ عَلَى المالِ والشَّرَفِ: إفساده لدينه ليس بأقلّ من إفسادِ الذئبين لهذه الغنمِ؛ بل إمَّا أن يكونَ مساويًا وإما أكثر، يشيرُ إِلَى أنه لا يسلمُ من دينِ المسلم مع حرصِهِ عَلَى المالِ والشَّرفِ في الدُّنْيَا إلا القليل، كما أنّه لا يسلمُ من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثلُ العظيمُ يتضمن غاية التَّحذيرِ من شرِّ الحرصِ عَلَى المالِ والشَّرفِ في الدُّنْيَا."

قال رحمه الله: "**فهذا مثل عظيم جدًا**" كل إنسان لاسيما طالب العلم يتأمل مثل هذا المثل في الأمثال النبوية الكثيرة، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام من الأمثال ما يبهر، مثل هذا المثل إذا تأمله الإنسان

حاسب نفسه، وإذا حاسب نفسه بصدق ويقين بما عند الله جل وعلا فلا شك أنه سيعود إلى رشده، ووصل الأمر ببعض الناس إلى عبادة الدرهم والدينار، تفكيره في تجارته، يُكلَّم في موضوعات فيرد بما ختم عمله به في تجارته، شخص في منامه وبجواره زوجته وقد التحفا باللحاف في منتصف الليل يجلس في فراشه ويأخذ اللحاف يذرعه فلما انتصف قطعه للزبون، وهو نائم، معه اللحاف وهو نائم، لماذا؟ هذا تفكيره، نام وهو يفكر بهذا، وهذا كثير من هذا النوع النساء يذكرن العجائب عن أزواجهن ممن شغفوا بالدنيا وأُشربوها.

الأمثال النبوية أُلِّف فيها مؤلفات وهي مبثوثة في كتب السنة من الصحيحين والسنن وغيرهما، لكنها جمعت في مصنفات، وفائدتها نظير أمثال القرآن التي جاء أنه لا يعقلها إلا العالمون، فعلى طالب العلم أن يُعنى بأمثال القرآن، وللإمام ابن القيم كتاب اسمه: التبيان في أقسام القرآن، جمع قسم وهو كتاب نفيس مفيد جدًا، وله أيضًا في ثنايا كتبه رحمه الله من الكلام على الأيمان والأقسام في القرآن وعلى الأمثال، انتقلنا من الأمثال إلى الأقسام، سهو، المقصود أن الأمثال لابن القيم فيها مصنف في أمثال القرآن، وأما أقسام القرآن كتاب آخر ليس له علاقة في أمثال القرآن، ولغيره من أهل العلم في هذا الباب فينبغي أن يحرص عليها طالب العلم ليكون من أهل العلم، إذا عقلها انتفى عنه الوصف وهو نفي العلم، ما يعقلها إلا العالمون، هذا الحصر يدل على أن الذي لا يعقل الأمثال أنه ليس من أهل العلم، فلنحرص على معرفة أمثال القرآن وأمثال الحديث أمثال السنة التي جاءت عن النبي عليه الصلاة والسلام كما في هذا الحديث، ويقولون بالمثال يتضح المقال، أحيانًا يؤتى بكلام قد يكون فيه نوع خفاء، لكن إذا جيء بالمثل وضُرب بالمثل بمحسوس مثل هذا الحديث، اتضح، لما ضرب النبي عليه الصلاة والسلام بالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر مع غيرهم من الواقعين في المحرمات، بقوم استهموا في سفينة، فصار بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها، فصار من في أسفلها كلما أرادوا أن يستقوا رقوا وطلعوا إلى أعلاها فاستقوا من الماء، لا يوجد وسيلة إلا هذه، فكأنهم تأذوا من الطلوع والنزول وآذوا غيرهم فتأثموا، قالوا: بدل من أن نتأذى ونؤذي نخرق في السفينة خرق يكون الماء عندنا، والنتيجة، لو تُركوا غرقوا جميعًا، المصلحون أخذوا على أيديهم ومنعوهم، فنجوا ونجوا جميعًا، وهذه وظيفة أهل الحسبة، أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يأخذون على يد السفيه ويحولون بينه وبين معصيته التي قد تكون سببًا في الهلاك، وأي مثل أوضح مما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في هؤلاء الذين استهموا في السفينة، وأي مثل لفساد الدين بالذئبين الجائعين الضاريين اللذين أُرسلا وتركا ولم يمنعا من أن يفترسا من هذه الزريبة زريبة الغنم، معلوم أن الذئب لا يكتفي بما يشبعه بل لابد

أن يفسد، فهذا مثل عظيم كما قال المؤلف: "**فهذا مثلٌ عظيم جدًّا ضربه النبيُّ صلى الله عليه وسلم لفسادِ دينِ المسلم بالحرص عَلَى المالِ**" كم تأول الإنسان وقد يكون عنده شيء من العلم، تأول من النصوص ما يتوصل به إلى كسب المال، أو ما يتوصل به إلى الشرف والجاه، يتقرب بذلك إلى أصحاب الأمر والنهي والقرار يقدم هذه القرابين من أجل أن يصل إلى مقصوده من مال أو جاه.

"**لفسادِ دينِ المسلم بالحرص عَلَى المالِ والشَّرفِ في الدُّنْيَا، وإن فسادَ الدِّين بذلك ليسَ بدونِ فسادِ الغنم بذئبين جائعين ضاريين**" الآن التشبيه صورة بصورة، بغض النظر عن الآثار المترتبة على ذلك، هذا فساد وهذا فساد، ولا يلزم من أن يكون التشبيه مطابق من كل وجه، وإلا فما نسبة الضرر الحاصل بفساد الرعية كلها من الغنم إلى نسبة فساد الدين؟ لا شيء، يعني لو قُدر أن الإنسان يقتل، يقدم نفسه ومهجته في سبيل الله، يعني الدنيا ذهبت لكن ما نسبة خسارته بذهاب دنياه بالنسبة لخسارته بذهاب دينه؟ الذي خسر الدنيا خسر مدة محدد، طالت أو قصرت، لكن الذي خسر الآخرة الذي خسر دينه خسر كل شيء "**وقد غابَ عنها رعاؤها ليلاً**" لأنه لو وجد الرعاء لكفوا هذه الذئاب عنها، "**فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها**" يأكلان في الغنم يأكلان حتى يشبعا ثم البقية يفترس ويترك فريسة ميتة، "**ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل**" القليل وقد لا ينجو شيء، وهذا محب المال ومحب الشرف قد ينجو من دينه شيء يسير ويبقى له شيء وقد لا يبقى له شيء، يبيع دينه بعرض من الدنيا نسأل الله العافية، وهذا وصف لآخر الزمان الذي يصبح فيه الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا نسأل الله العافية، يبيع دينه بعرض من الدنيا، "**فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه**" وهذا واقع ومشاهد، كل من دخل في الأسباب الموصلة إلى المال أو الشرف وجد التغير في قلبه في البداية، وأما في النهاية فالله أعلم في المصير.

"**أنَّ حرصَ المرءِ عَلَى المالِ والشَّرَفِ: إفساد لدينه ليس بأقلّ من إفسادِ الذئبين لهذه الغنمِ بل إمَّا أن يكونَ مساويًا وإما أكثر**" لكن لن يكون أقل "**يشيرُ إِلَى أنّه لا يسلمُ من دينِ المسلم مع حرصِهِ عَلَى المالِ والشَّرفِ في الدُّنْيَا إلا القليل، كما أنّه لا يسلمُ من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.**" يعني أفعل التفضيل هل يراد منها حقيقة الصيغة؟ أو أنها قد تستعمل على غير بابها؟ قد تستعمل على غير بابها {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} كثير كثير هذا، استعمال أفعل التفضيل ليس على بابها، الآن مقارنة فساد الذئبين وإفساد الذئبين للغنم بإفساد حب المال والشرف للدين.

يقول المؤلف: "**إمَّا أن يكونَ مساويًا وإما أكثر**" في الوصف المذكور الذي هو الفساد، لأنهما اشتركا في الوصف، ومعلوم أنه في صيغة أفعل التفضيل في الأصل أن يشترك اثنان في وصف يفوق أحدهما الآخر في هذا الوصف، وهنا في النفي (ليس بأفسد) هذا لا ينفي المساواة كما قال المؤلف، لكن هذا في أصل الوصف الذي هو الإفساد، بغض النظر عن مقدار هذا الفساد وهذا الإفساد، ولا نسبة لضرر ما يتعلق بأمور الدنيا كالغنم في هذا الحديث وما يتعلق بأمور الآخرة كالدين، فالدين رأس المال والدنيا كلا شيء بالنسبة للآخرة، الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة، مثل ما ذكرنا في الحديث: (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) لكن لو قيل لشخص: أنت صليت ركعتين هما راتبة الصبح وهذه ألف ريال وصل غيرهن أنت، الدقيقتين لن تضرك، يعني بموازين الناس في أمور دنياهم، يكسب ألف بدقيقتين هذا ربح عظيم في تقديره لكن ما عند الله خير وأبقى {وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} يعني لا مقارنة في أمور الدنيا بأمور الآخرة، الدنيا كلا شيء، فلا توزن هذه الأمور ولا تحسب ولا تقاس بمثل هذه المقاييس، لا يقول أنا والله صليت ركعتين خير من الدنيا وما فيها عطنا ألف ولك الركعتين، هذا لا يقوله عاقل، وإن كان في تفكير بعض الناس ممن تزن عنده الدنيا شيء، ويقول ما يضرنا نأتي بركعتين في دقيقتين الأمر سهل يعني عنده، لكن ركعتي الصبح لو عقل وفهم عن الله وعن رسوله مقاصد ما جاءت به شريعة الله ما فعل مثل هذا، وبعض الناس يتسبب في تأثيم بعض السفهاء، ويقول له مثل هذا الكلام، خرج إلى الحج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فيحج أحد من هؤلاء السفهاء الذين تعنيهم أمور الدنيا وقد تدفعهم الحاجة إلى مثل هذا فيقول له: أنت حججت وبدل ما الحملة بعشرة آلاف سأعطيك مائة ألف حجة قادمة، خل هذه لي، مثل هذا التصرف هذا يذهب الأجر على الطرفين، ضيع حجة المسكين، ولن يحصل له من ذلك شيء، لأن الحج إذا لم ينو من الأصل لا ينصرف إلى الثاني، فبعض الناس ممن أُغرم بالسخرية والضحك على الناس يفعل مثل هذا، وهذا موجود وفُعل! يقول: أنت حجيت وتكلفت عشرة آلاف سأعطيك بدلها، لكن هل هذه الأمور تحسب بهذه المقاييس والمقادير؟ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، نفترض أن هذا سبعين سنة يزاول من المعاصي والمنكرات والفواحش فحج حج مبرور، هذه لا يقابلها شيء من حطام الدنيا، الدنيا كلها لا تقوم بمثل هذه الحجة، فالمقياس والمثل النبوي للتقريب، لا للمقارنة، ولتقريب الصورة ولفهم الكلام، فالأمثال يراد بها التوضيح، والتقريب للمعاني وإلا لا مقارنة بين غنم الدنيا كلها وبين دين المرء المسلم.

سؤال: ...

الشيخ: نعم المسلم، الكافر ضائع دينه، الآن الإفساد لشيء قائم، فالمقصود به المسلم، تنظير الموجود في الحديث يدل على أنه قائم (بأفسد لدين المرء) أما مسألة الصد عن الدين هذه مسألة أخرى.

******

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا واجزه عنا خير الجزاء برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال الإمام الحافظ ابن رجب –رحمه الله تعالى–:

"فأمَّا الحرصُ عَلَى المالِ فهو عَلَى نوعين:

أحدهما: شدةُ محبةِ المال مع شدةِ طلبهِ من وجوهه المباحةِ، والمبالغة في طلبهِ والجدِّ في تحصيلهِ واكتسابهِ من وجوهه مع الجهدِ والمشقةِ.

وقد وردَ أنَّ سببَ الحديث كان وقوع بعض أفرادِ هذا النوعِ، كما أخرجه الطبرانيُّ من حديثِ عاصم بن عديٍّ، قال: اشتريتُ مائةَ سهم من سهامِ خيبر، فبلغ ذلك النبيّ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ: "مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ فِي غَنَمٍ غَابَ أضاعَهَا ربُّها بأفسدَ من طَلَبِ المسلمِ والمالِ والشَّرَفِ لدينِه".

ولو لم يكنْ في الحرص عَلَى المال إلاَّ تضييعُ العمرِ الشَّريفِ الَّذِي لا قيمةَ له، وقد كان يمكنُ صاحبه اكتساب الدرجات العلى والنَّعيم المقيم، فضيَّعَه الحريص في طلب رزقٍ مضمونٍ، مقسومٍ لا يأتي منه إلا ما قُدِّرَ وَقُسِّمَ، ثم لا ينتفعُ به؛ بل يتركُه لغيرهِ ويرتحل عنه، ويبقى حسابُه عليه ونفعُه لغيره، فيجمعُ لمن لا يحمدُه، ويقدم عَلَى من لا يعذرُه، لكفى بذلك ذَمًّا للحرصِ.

فالحريصُ يضيعُ زمانَه الشريفَ، ويخاطرُ بنفْسه التي لا قيمةَ لها في الأسفارِ وركوبِ الأخطارِ؛ لجمعِ مالٍ ينفع به غيرُه.

كما قيل:

ولا تحسبن الفقر من فقد الغنى ... ولكن فقد الدين من أعظم الفقر

قِيلَ لبعض الحكماءِ: إنَّ فلانًا جَمَعَ مَالاً. فَقَالَ: فهل جمعَ أيامًا ينفقُه فيها؟ قيل: ما جمعَ شيئًا.

وفي بعضِ الآثارِ الإسرائيلية: الرزقُ مقسومٌ والحريصُ محرومٌ، ابن آدمَ، إذا أفنيتَ عمرَك في طلبِ الدُّنْيَا، فمتى تطلبُ الآخرةَ؟!

إذَا كنت فِي الدُّنْيَا عَنِ الخيرِ عاجزًا ... فما أنتَ فِي يومِ القيامةِ صانعُ

قال ابنُ مسعود: اليقينُ أن لا تُرْضي النَّاسَ بسخطِ الله، ولا تحسد أحدًا عَلَى رزق الله، ولا تلوم أحدًا عَلَى ما لم يؤْتِك الله، فإنَّ رزق الله لا يسوقُه حرصُ حريصٍ ولا يردُّه كراهةُ كاره، فإنَّ الله بقسطِهِ وعلمه جعلَ الروحَ والفرحَ فِي اليقين والرضى، وجعلَ الهمَّ والحزنَ فِي الشَّكِّ والسخطِ.

وقال بعضُ السَّلف: إذا كان القدرُ حقًّا فالحرصُ باطلٌ، وإذا كان الغدرُ فِي الناس طباعًا فالثقةُ بكلِّ أحدٍ عجزٌ، وإذا كان الموتُ لكلِّ أحد راصدًا فالطمأنينةُ إِلَى الدُّنْيَا حمق.

كان عبد الواحد بنُ زيد يحلفُ بالله: لحرصُ (المرءِ) عَلَى الدُّنْيَا أخوفُ عليه عندي من أعدى أعدائه.

وكان يقولُ: يا إخوتاه، لا تغبطوا حريصًا عَلَى ثروة ولا سعة فِي مكسبٍ ولا مالٍ، وانظروا إِلَيْهِ بعين المقتِ له فِي (اشتغالِه) اليومَ بما ورديه غدًا فِي المعاد ثُمَّ يبكي، ويقولُ: الحرصُ حرصانِ: حرصٌ فاجعٌ، وحرصٌ نافعٌ؟ فأما النَّافعُ: فحرصُ المرءِ عَلَى طاعةِ اللهِ.

وأما الفاجعُ: فحرصُ المرءِ عَلَى الدُّنْيَا مشغولٌ معذبٌ لا يسرُّ ولا يلتذُّ بجمعِهِ لشغله، ولا يفرُغُ من محبته الدُّنْيَا لآخرته، كذلك وغفلتِه عما يدومُ ويبقى.

ولبعضِهم فِي المعنى:

لا تغبطنَّ أخا حرصٍ عَلَى سعةٍ ... وانظرْ إِلَيْهِ بعينِ الماقتِ القالي

إِنَّ الحريصَ لمشغولٌ بشقوته ... عن السُّرور بما يحوي من المالِ

وأنشد آخر فِي المعنى:

يا جامعًا مانعًا والدهرُ يرمقُه ... مفكرًا أيُّ بابٍ منه يغلقُه

جمعتَ مالاً ففكرْ هل جمعتَ له ... يا جامعَ المالِ أياما تفرقُه

المالُ عندَك مخزونٌ لوارثِهِ ... ما المالُ مالك إلا يومَ تنفقُه

إِنَّ القناعةَ من يَحللْ بساحتِها ... لم ينل في ظلّها همًّا يؤرقُه"

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فيقول المؤلف رحمه الله تعالى: "**فأمَّا الحرصُ عَلَى المالِ فهو عَلَى نوعين: أحدهما: شدةُ المال مع شدةِ طلبهِ من وجوهه المباحة**" هذا النوع داخل في الحديث أو غير داخل؟ داخل، والكلام في هذا، أما من الوجوه المحرمة وإنفاقه في الأمور المحرمة قدر زائد على ذلك، على كل حال هذا في الجملة داخل هذا في الأصل، لكن إذا غلبت مصالح هذا المال المجموع من حله على مفاسده وأُنفق في وجوه الخير فنعم المال الصالح للعبد الصالح.

قال: "**فأمَّا الحرصُ عَلَى المالِ فهو عَلَى نوعين:**"

أولاً المال أنواع، منه الذهب والفضة وقيم الأشياء، ومنه الضياع والعقار ومنه القصور الفارهة ومنه المراكب، إلى غير ذلك من الأنواع، الانشغال بالمال بأي نوع من أنواعه، والحرص على هذا المال، أي نوع كان، داخل في الذم الوارد في سياق الحديث، قد يقول قائل: هناك أموال ظاهرها أنها من أبواب العبادة فهل تدخل في مثل هذا؟ وما أدخله أهل العلم في قوله جل وعلا: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} التكاثر بأي صنف من أصناف المال، حتى ولو كان ظاهره أنه مما يتقرب به إلى الله جل وعلا ثم شغل عما هو أهم منه، حتى أن الخطيب البغدادي في رسالة له اسمها: (اقتضاء العلم العمل) وقد لحظ في وقته من يتكاثر بجمع الكتب مثلاً، كتب! مما يعين على تحصيل العلم، إذا كثرت وزادت عن الحاجة وشغلت عما هو أهم منها، قال: (الجامع الكتب إلا ككانز الفضة والذهب) فتدخل في حيز الذم إذا زادت عن الحاجة وشغلت عما هو أهم منها، وهذا ملاحظ في القديم وفي الحديث، ذُكر عن بعضهم بعض المتقدمين أن عنده من الدور ست عشرة كلها مملوءة كتب، ويقصدون بالدور: الغرف، كلها مملوءة بالكتب، وعنده من الصحاح عشرون نسخة، وليست من النسخ التي تباع الآن بثمن بخس من الطبعات الرديئة المبذولة لا! مخطوطات، يعني لا يوجد طباعة في وقته، وهو أخ للقاضي الفاضل أحد رؤساء طبقات الكتاب كما هو معلوم، وله أخ آخر منهوم بشراء الأثاث المستعمل حتى أن عنده أكثر من دور أخيه من القدور والأواني وغير ذلك، وهذا كله

مما يشغل سواء هذا وهذا مما يشغل، وقد مر بنا وبغيرنا من التعلق بالكتب والطبعات مما يشغل، والحديث في هذا عن معاناة لا شك أنه يشغل ويلهي وأحيانًا ينسى الإنسان نفسه ويقلب في الكتب المعروضة للبيع وتضيع عليه الساعات، لا شك أن هذا داخل إلا فيما يُحتاج إليه، لأنه قد يقول: أنا أجمع الطبعات من أجل تصحيح الأخطاء في بعضها، وهذا صحيح الكلام صحيح، يعني تجمع من هذا الكتاب مثلاً الذي بين أيدينا، كل طبعاته لتجد تصحيح كلمة واحدة، إذا كان بهذا القصد ولهذا الهدف فلا شك أنه مما يعين على تحقيق العلم والذي يعين على تحقيق العلم من العلم، لكن الكلام على القدر الزائد على ذلك الذي يَشغل ويُشغل الذمة ويلهي عن ما هو أهم فهذا يدخل، ولذلك قال الخطيب: (وهل كانز الكتب أو جامع الكتب إلا ككانز الفضة والذهب) إذا نظرنا إلى شيوخنا وشيوخهم ونظرنا إلى مكتباتهم ما عندهم إلا شيء يسير، كتب قليلة لكنها مقروءة بل قُرئت مرارًا واكتفوا بها، لكن لا يمنع أن الإنسان يجعل مكتبة عنده وافية مستوعبة لجميع العلوم والفنون ولو لم يقرأها وإنما يرجع إليها عند الحاجة، والأمور متيسرة ومتوفرة بخلاف ما كان في زمن مضى، إذا طلبوا كتابًا لم يجدوه إلا عند شخص واحد فإما أن يستعار ويُقرأ أو يستعار وينسخ وكل زمن له ظروفه والله المستعان.

المقصود أن الحرص على نوعين: النوع الأول: من الوجوه المباحة، والمؤلف رحمه يدخله في سياق الذم الوارد في الحديث، لماذا؟ لأنه يشغل عما هو أهم منه وإن كان من الوجوه المباحة، ولو صرف في وجوه مباحة، فضلاً عن أن يجمع من وجوه فيها نوع شبهة أو محرم أو من عظائم الأمور من المحرمات كالربا ونحوه أو يصرف فيما حرم الله جل وعلا هذا الأمر أعظم وأشد مما جاء في الحديث، هذا ما يأكل الغنم فقط هذا يأكل صاحب الغنم!

"**شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة**" ورأينا من هذا النوع مع الأسف من عوام المسلمين قبل انفتاح الدنيا والاتصال العالم الخارجي والنظر في الشاشات والبورصات والأشياء التي تذهل، تذهل السامع وتشغل الجامع، وإذا كان في وقت مضى قريبًا في وقت ثورة الأسهم يجتمع الفئام من الناس في صالة في أحد البنوك ويصلون صلاة الظهر في الصالة ويجهر الإمام ويقولون آمين بل سُمع من يقول آمين وهو ساجد! يعني هل هذا انشغل عن الدين فقط؟ هل نقول هذا انشغل؟! هذه ليست مسألة شغل، الانشغال فيما إذا انصرف القلب وغفل عن الصلاة ورجع إليها نقول انشغل، لكن مثل هذا! ووُجد من يرفع إصبعه كأنه يتشهد وهو ساجد ولما سلم الإمام قال آمين، شيء لا يخطر على البال! ولما انخفضت الأسهم وُجد

من اختل عقله ووجد من أصيب بأمراض معضلة، هل هذا يتناوله الحديث؟ هذا أعظم مما جاء في الحديث! يعني هذا من وجوه مباحة نعم يصد عما هو أهم منه لكن لا يصل إلى هذه الحال الجنوني!

"**والمبالغة في طلبه والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة**" يعني يُتصور أن شخص شاب في الإسلام لحيته بيضاء وجاره كذلك، يقول لجاره: إن إبليس أحب إلي منك! كله لأنه منافس في تجارته، أمور مهولة لا تخطر على بال! وشخص لما قيل له الصلاة على فلان ابن عم له كبير، صلاة العصر، طلب منهم أن يؤخرها إلى المغرب من أجل الدكان! جنون هذا! وهذه عبادة للدرهم والدينار نسأل الله العافية.

"**وقد ورد أن سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع، كما أخرجه الطبراني من حديث عاصم ابن عدي رضي الله عنه قال: اشتريت مائة سهم من سهام خيبر**" الآن كم يشترون من سهم؟ ملايين الأسهم، "**مائة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ما ذئبان ضاريان في غنم أضاعها ربها...)**" لأنه لو كان عندها لدافع عنها "**(بأفسد من طلب المسلم المال والشرف لدينه).**"

هذا يقول فيه الحافظ الهيثمي إسناده حسن في مجمع الزوائد، النبي عليه الصلاة والسلام كما جاء في سنن أبي داوود اقتنى من الإبل ما اقتنى، عدد يسير وليس بالمئات والألوف، واقتنى مائة من الغنم، فكان عليه الصلاة والسلام كلما نُتجت بهمة من هذه الغنم ذبح مكانه واحدًا من الكبار يريد ألا تزيد، هذا في السنة في سنن أبي داوود، لأنه ينظر إليها على أنها حاجة تبلغه إلى ما يرضي الله جل وعلا والله المستعان.

قلت: "**ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له**" ما معنى لا قيمة له؟ رخيص؟ كل القيم لا تساويه، كل القيم لا تقوم له ولا تساويه، "**وقد كان يمكن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى**" الإنسان إذا ضيع من عمره الساعات، لو اقتطع من هذه الساعات ساعة يقرأ فيها ثلاثة أجزاء من القرآن أو أربعة من القرآن، كان بقية سعيه لدنياه لا يعدل شيئًا بالنسبة لقراءة القرآن، وقل مثل هذا في غير القرآن من وجوه الخير والطاعة.

"**وقد كان يمكن صاحبه في اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم فضيعه بالحرص في طلب رزق مضمون**" لأنه يكتب رزقه وهو في بطن أمه! إذا أُرسل إليه الملك، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، "**في طلب رزق مضمون مقسوم**" {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ} "**لا يأتي منه إلا ما قدر وقسم**"

هل يمكن لإنسان مهما بلغت أسبابه وأعوانه وأدواته أن يحصل من الرزق أكثر مما كتب له ولو درهم واحد؟ لا يمكن، (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك إلا بما قدر لك) ثم إذا جمع هذا المكتوب وهذا المقسوم وسعى في الأسباب وانشغل بجمعه، وجمع الأموال الطائلة وتعب على جمعها وجمع أكثر مما يحتاجه في هذه الدنيا ورحل عنها، القدر الزائد لا ينتفع به، بل يتركه لغيره من الورثة، ومن العبر: أن الإنسان قد يتعب ويعيش العمر الطويل سبعين ثمانين سنة تسعين سنة يجمع الأموال تيسر له أسبابها ويجتمع عنده من الأموال مئات الملايين وأكثر من ذلك ويكون ممن لم يكتب له ولد ثم يؤول هذا المال إلى ابن عم بعيد بينه وبينه عداوات طيلة عمره بسبب أوقاف وأسبال ومشاحنات ثم هذه الأموال تنتقل إلى هذا، عبر!

"**ثم لا ينتفع به بل يتركه لغيره**" وهذا مال غيره وليس ماله، كما جاء في الحديث: (أيكم مال غيره أحب إليه من ماله؟ قالوا: كلنا مالنا أحب إلينا من مال غيرنا قال: مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت).

"**ويرتحل عنه ويبقى حسابه عليه**" والمال قد يؤول إلى ابن عاق أو زوجة ناشز عصية أو قريب هاجر والله المستعان "**ويبقى حسابه عليه ونفعه لغيره**" بل قد يبتلى الإنسان بالجمع والمنع يبتلى بالشح! فيكرهه أقرب الناس إليه ويتمنون موته ويفرحون بموته، مع الأسف وجد من يصرح بذلك وهو من أبناء المسكين الذي أضاع عمره في الجمع فلم ينتفع به بل صار مجرد ومحض بلاء عليه، لأنه قدم إلى من لا يعذره كما سيأتي.

"**ويبقى حسابه عليه ونفعه لغيره فيجمع لمن لا يحمده، ويقدم على من لا يعذره**" حساب! نعم رحمة أرحم الراحمين التي وسعت كل شيء فيها مطمع لكل مسلم، لكن مع ذلك على الإنسان أن يحتاط لنفسه ويقدم لنفسه ما ينجو به من شدة الحساب.

"**ويقدم على من لا يعذره ولكفاه بذلك ذمًا للحرص. فالحريص يضيع زمانه الشريف**" وجدنا من كبار السن الذين أدركناهم، مساكين يتعبون بالليل والنهار، وجاره الذي دونه في المال بمراحل، بل قد يكون ممن عاش على زكاته وصدقته، مرتاح! يعيش عيشة هنيئة، "**فالحريص يضيع زمانه الشريف ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها**" تجده من بلد إلى بلد، "**يخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب الأخطار لجمع مال ينتفع به غيره، كما قيل**" هذا إذا كان المال من الوجوه المباحة فكيف إذا كان من وجوه محرمة؟ كما قيل:

ومن ينفق الأيام في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر، يوجد من الناس من أرباب الأموال ومن أثرياء

العالم من يعيش عيشة الفقراء، لا يتلذذ بنوم ولا يتلذذ بأكل ولا يتلذذ بفراش، وتجد نفسه رديئة وأخلاقه سيئة يثور لأدنى سبب حفاظًا على ما جمعه من هذه الأموال ويكون مجرد راصد، والله المستعان.

"**ولا تحسبن الفقر من فقد الغنى ... ولكن فقد الدين من أعظم الفقر**" الذي هو رأس المال، رأس المال: الدين الذي إذا فقده الإنسان ما بقي له شيء، وكل كسر فإن الدين جابره وما لكسر قناة الدين جبران.

"**قيل لبعض الحكماء: أن فلانًا جمع مالاً، فقال: فهل جمع أيامًا ينفقه فيها؟**" لأنه إذا لم يتمكن من إنفاق هذه الأموال على نفسه التي هو أولى ببرها من غيره فما ينفع، كأنه ما جمع، "**قيل له: ما جمع شيئًا.**" ويفهم من كلام المؤلف رحمه الله أن الإنسان يجمع بقدر الحاجة ولا يزيد على ذلك، فماذا عن قوله عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقاص: (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس)؟ لا مانع أن يجمع لمن وراءه، هذا في الصحيحين: (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس) هذا الحديث في الصحيحين، لكن بدون الحرص الذي مر وصفه مما يُشغل عما هو أهم منه، فإذا حصل جمع المال من طرقه المباحة ومن غير حرص، مقدمًا الأولويات الأهم فالأهم، وتيسر له من الأموال ما كتب له وقُسم له، بطريقة لا تشغله عن الأهم، ومع ذلك حرص على أن يبرأ من عهدته بإخراج ما أوجب الله عليه، ويزيد على ذلك مما ينفعه في آخرته، نعم المال الصالح للعبد الصالح.

إذًا عندنا هذا الحديث وهو في الصحيحين: (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس) عندنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله الخليفة الراشد ما ترك شيئًا لورثته فقيل له، فقال: الورثة ما بين صالح فلن يضيعه ربه وبين فاسق فلن أعينه على فسقه، ما رأيكم بنظرية عمر بن عبد العزيز؟ صالح لن يضيعه ربه وفاسق ما أترك أموال يستعين بها على فسقه، الحديث بلا شك مقدم، لا أحد يقارن بين قول عمر بن عبد العزيز وما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، لكن وجهة عمر بن عبد العزيز مقبولة أو غير مقبولة؟

مداخلة: مقبولة يا شيخ.

الشيخ: لأنه إذا زادت الثقة بالله فللإنسان أن يتصدق بجميع ماله، قوي التوكل على الله وزادت الثقة به، العلماء يشترطون هذا الشرط لمن أن يتصدق بجميع ماله، وأبو بكر جاء بجميع ماله وتصدق به، وعمر جاء بنصف ماله كما في الخبر الصحيح.

سؤال: أحسن الله إليك، يمكن الجمع في قصة سعد بن أبي وقاص أن الإنفاق كان بعد الموت، لكن في فعل عمر بن عبد العزيز كان إنفاق جميع المال في حال حياته، فلا يكون هناك تعارض مع النص.

الشيخ: عمر أنفق جميع المال ما ترك شيء.

السائل: لكنه في حال حياته فلا يكون فيه معارضة للحديث.

الشيخ: سعد بن أبي وقاص عُمِّر بعد ذلك ورزق الأولاد.

السائل: لكن النهي الوارد في الحديث كان عن إنفاق المال بعد الوفاة الذي هو الميراث.

الشيخ: سعد بن أبي وقاص في حال الحياة نعم هو قد يكون قد غلب على ظنه أنه يفارق الحياة، لكنه عُمِّر بعد ذلك ورزق الأولاد، والنبي عليه الصلاة والسلام جاء بكلام مطلق عام، هذا يصلح له ولغيره (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس).

سؤال: أحسن الله إليك يا شيخ، ما المقصود بالغنى في حديث سعد بن أبي وقاص، في قول النبي صلى الله عليه وسلم (إن تذرهم أغنياء)؟

الشيخ: يعني يترك لهم ما يكفيهم.

السائل: يعني ليس المقصود أن يترك لهم أموال طائلة؟

الشيخ: يترك لهم ما يكفيهم، بحيث لا يحتاجون إلى الناس.

قال رحمه الله: "**وفي بعض الأثار الإسرائيلية: الرزق مقسوم**" والمؤلف رحمه الله في مؤلفاته يكثر من هذه الآثار الإسرائيلية التي جاءت عن بني إسرائيل والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) وهذا في الصحيح، وعند البزار: (فإن فيهم الأعاجيب) ومعلوم أن الحديث عن بني إسرائيل فيما لم يرد شرعنا بخلافه.

"**الرزق مقسوم والحريص محروم، ابن آدم، إذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا، فمتى تطلب الآخرة؟**" لأن الدنيا ضرة بالنسبة للآخرة، هي ضرة إذا حرصت عليها وأفنيت وقتك وعمرك من أجلها، لا شك أن الضرة تتأثر، بدلاً من أن يُنفق هذا الوقت النفيس كله في الدنيا، يتوازن الإنسان مستحضراً الهدف الذي خلق من

أجله، ومستحضراً أيضاً ما يحتاجه تحقيق الهدف من الدنيا {ولا تنسَ نصيبك من الدنيا} من أجل تحقيق الهدف، أما شخص يجلس في بيته ولا يتسبب، السماء كما قال عمر: لا تمطر ذهباً ولا فضة، فعلى المسلم أن يكون متوسطًا في أموره متوازناً، بحيث لا يتذلل للناس ولا يذل لهم، ولا يكون عالة عليهم، فاليد العليا خير من اليد السفلى، اليد العليا: هي المعطية المنفقة، خير من اليد السفلى: الآخذة، وإن كان بعض المتصوفة يرى العكس: أن اليد العليا الآخذة والسفلى المعطية لماذا؟ تبريراً لكسلهم وخمولهم وعيشهم على أرزاق الناس، فهم يأخذون من الناس، ويقولون العليا الآخذة، لماذا؟ لأنها نائبة عن الله، {إن تقرضوا الله قرضاً حسناً} فالفقير هذا نائب عن الله، وهذا تبرير لخمولهم وكسلهم وخلودهم إلى المكث والبقاء، منهم عباد صالحون هؤلاء لهم وعليهم، لكن منهم غلاة فيهم من دخلت فيهم الزندقة من غلاتهم، على كل حال السبب مطلوب وهو نافع ومؤثر، (لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً) أي تبذل السبب، لا تجلس في أوكارها ثم يأتيها الرزق لا، فبذل السبب مطلوب وهو أيضاً من الشرع، ولكن لا يعتمد عليه، وإنما العمدة والمعول على الله جلَّ وعلا، هناك أسباب من الخلق من يجعلهم الله سبباً لرفع الحاجة لبعض الناس، فهم مجرد أسباب، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما أنا قاسم والله المعطي) والغني حينما يعطي الفقير فإنما يعطيه من مال الله {وآتوهم من مال الله الذي آتاكم} فالاعتماد على الأسباب شرك، فهي لا تؤثر بذاتها هي مؤثرة لكن بجعل الله الأثر فيها، خلافاً لمن يقول: أنها مؤثرة بذاتها كالمعتزلة، وأيضًا خلافاً لمين يقول: أن وجودها مثل عدمها لا أثر لها البتة تبذل سبب أو ما تبذل لا يوجد فرق كما يقوله الأشعرية.

يقول: "**ابن آدم إذا أفنيت عمرك بطلب الدنيا فمتى تطلب الآخرة**" هؤلاء أرباب الدنيا، لكن الإشكال فيمن يسوّف من طلبة العلم، التسويف موجود، نقول له متى تحفظ الكتاب الفلاني ومتى تحضر الدرس الفلاني، تجده يتعذر لنفسه يقول إذا طال الليل بدأنا بالحفظ، وإذا جاء الشتاء قال إذا دفينا إن شاء الله بدأنا بالحفظ، موجود هذا التسويف هذا موجود عند عموم طلبة العلم ممن يحتاجون إلى إثارة الهمة في نفوسهم. يقول: يؤذيك حر المصيف وبرد الشتاء ... ويبس الخريف فأخذك للعلم قل لي متى

إذا جاء الصيف قال: والله حر ما نقدر نتصرف، ليل قصير والنهار حر شديد، شلون نشتغل، وإذا جاء الشتاء، تتعذر بالحر جاك البرد، يقول: والله البرد الشديد ما معه عمل، يبي يتلفلف بالفرو ويجلس عند النار يتدفى ينتظر الدفء وإذا جاء الدفء قال ننتظر البرد، ولذلك قال:

يؤذيك حر المصيف وبرد الشتاء ... وييس الخريف فأخذك للعلم قل لي متى، وهذا يقول: "**ابن آدم إذا أفنيت عمرك بطلب الدنيا فمتى تطلب الآخرة**" إذا كنت في الدنيا عن الخير عاجزاً ... فما أنت في يوم القيامة صانع؟ إذا كنت في الدنيا عاجز عن أن تفعل الطاعات وتؤدي الواجبات، وعاجز عن ترك المحرمات، إذا وافيت يوم القيامة وجاء الحساب، ونوقشت عن الصلاة والصيام والزكاة وسائر الطاعات، ماذا تقول؟ عذرك العجز هل هو عذر؟ الله جل وعلا خلقك ورزقك وكفلك وأعطاك من القدرة ما تستطيع به أن تؤدي الواجبات وأعطاك من القدرة ما تستطيع به أن تكف نفسك عن المحرمات.

"**قال ابن مسعود رحمه الله: اليقين ألا ترضي الناس بسخط الله**" اجعل همك رضى الله، فمن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، وبالمقابل من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، قال: "**اليقين ألا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحسد أحداً على رزق الله**" الحسد آفة، وداء من أدواء القلوب، ويأكل الحسنات، وفي النهاية الضرر على الحاسد، "**ولا تلوم أحداً على مالم يؤتك الله**" جاءت أرزاق إما بسبب الوظيفة جاءت للموظفين، أو جاءت من توزيع المحسنين أو من بيت المال، ما كتب الله لك شيء، تروح تلوم فلان وفلان على شيء لم يكتبه الله لك، "**ولا تلوم أحداً على مالم يؤتك الله**" فالله جلَّ وعلا هو المعطي، وقد يدخل الرجلان متقاربان في حاجتهما على أحد الأغنياء فيعطي هذا ولا يعطي ذاك، وقد يكون المُعطى أيسر حالاً من المحروم، والله جلَّ وعلا هو المعطي، "**فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كره كاره**" قد يقول قائل: إذا كان الأمر كذلك، لماذا نتعب؟ كما قال الصحابة رضوان الله عليهم، فيكون الجواب: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) أنت مأمور ببذل السبب والنتيجة بيد الله جلَّ وعلا لكن عليك بذل السبب.

في كلام ابن مسعود رضي الله عنه: "**فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره**" الرزق مقدر مقسوم مكتوب لا يزيد ولا ينقص سواءً حرصت أو لم تحرص، إذا بذلت السبب المناسب، لا تعجز وتترك السبب تقول متوكل، ولا تحرص حرصًا يزيد على المطلوب لمثل ما طلبت، فإنه لن يأتيك إلا ما كتب الله لك، "**ولا يرده كراهة كاره**" أحياناً يكون الكاره بيده نوع تصرف وسلطة، ومع ذلك المكتوب لابد أن يصل ولو كره من بيده أمر، "**فإن الله بقسطه**" أي بعدله "**جعل الروح والفرح**" والراحة والطمأنينة، راحة القلب راحة البدن "**في اليقين والرضى**" هذه الراحة التامة إذا وُجد اليقين بما عند الله جلَّ وعلا، والرضى بما كتب الله وُجدت الراحة والطمأنينة، وما نشاهده اليوم في الناس عموماً من تعب في القلوب وإن وجدت

راحة الأبدان، فمن ضعف اليقين، وتجد الإنسان إذا حضر في مصيبةٍ لغيره تجده من أثبت الناس ومن أكثره الناس استحضاراً للنصوص، وإذا كانت المصيبة تخصه لا شيء من ذلك طاش عقله لضعف اليقين، الناس كانوا إلى وقت قريب أبدانهم متعبة يكدون في تحصيل المعيشة ويتعبون على ذلك تعباً شديداً في أبدانهم، لكن إذا انتهت أعمالهم وأووا إلى فرشهم نسو الدنيا كلها، والآن على العكس، الأبدان ارتاحت والمعيشة توسعت فما يحتاجون إلى تعب كبير، لكن القلوب، كان الإنسان يسافر من الصين ومن الهند ومن الشرق والغرب لمدة سنة أو سنتين يأتون إلى الحج وهم في راحة وسعادة، الأبدان شقيت لأنها في العراء على الإبل أو على الأقدام في الشمس وفي البرد، لكن القلوب مرتاحة، يوجد من يصنف وهو في السفر، يؤلف كتب وهو في السفر، لأن القلب مرتاح لثقته بالله ويقينه به، الآن السفر إلى الحج في ساعات، قد يكون أقل من ساعة وقد يكون ساعة وقد يكون أكثر، إلى عشر ساعات، كلها ما تجي نصف يوم، البدن مرتاح ويصل الحاج إلى المشاعر وثوبه لم يتأثر، لكن القلب، القلب مشحون، يعني لو يتأخر فتح باب الطائرة خمس دقائق، كيف تتصور وضع الناس وهم يتدافعون في السلم، لماذا؟ لأنها وإن ارتاحت الأبدان فالقلوب شقيت، لما أثر عليها من أمور الدنيا ومن تعلق بغير الله، يذكرون أن شخصاً غير مسلم صنف كتاباً فيمن مات عند إشارات المرور، ما السبب؟ الغضب! تجد أحدهم واقف في أقصى اليمين والآخر يريد أن يلف يمين، كم المدة التي يمكن يمكثها؟ دقيقة أو دقيقتين بالكثير، تجده يرتفع عليه الضغط وينفجر فيه شريان، من أجل ماذا؟ وكان في السابق على الإبل هذا المشوار الذي يأخذ دقيقتين أو ثلاث يأخذ يومين، الأمر سهل متى ما وصل، فهذا الترف الذي نعيشه ليس بخير محض، فيه خير لمن استغله واستفاد منه وصرفه فيما يرضي الله تعالى وإلا بقية الناس لديهم من التعاسة ما لا يوجد نظيره في التعب السابق عند المتقدمين حينما كانت الدنيا فيها شيء من الضيق والشح.

"**في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط**" يروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لا يحملنكم استعجال الرزق على أن تطلبوه بسخط الله، فإن ما عند الله لا يُنال بسخطه.

بعض الناس من حرصه على الدنيا إذا ضاقت به المسالك المباحة لجأ إلى غيرها، وبعض الناس وإن فتحت عليه الدنيا فإنه لا يقنع بما أباح الله له، فتجده يلتفت يميناً وشمالاً ويتوسع في المباحات حتى يقوده ذلك إلى مزاولة الشبهات ثم يقوده ذلك إلى ارتكاب المحرمات طلباً للرزق واستعجالاً له، ولا يدري المسكين أنه يجمع حطباً يوقد عليه به في النار نسأل الله العافية، وما عند الله لا يُنال بسخطه.

يقول: "**وقال بعض السلف: وإذا كان القدر حقاً فالحرص باطل**" وهذا لا يعني ترك السبب، القدر حق لكن هذا القدر مرتب على أسباب فلابد من وجود هذه الأسباب لتترتب المسببات، وإذا كان مقصود الكلام في الحرص وليس المراد بذل السبب، "**وإذا كان الغدر في الناس طباعاً**" يعني: مغروس في الناس، كثير من النفوس جبلت عليه، "**فالثقة بكل أحدٍ عجز**" لأن الغدر موجود في كثير من الناس، لا شك أن الثقة بجميع الناس نوع غفلة وعجز، "**وإذا كان الموت لكل أحد راصداً فالطمأنينة إلى الدنيا حمق**" لأنها لابد أن تفارقه وأن يفارقها لأن الموت مكتوب على كل حي وهو نهاية كل حي إلا الله جلّ وعلا، الحي الذي لا يموت.

"**كان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله: لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندي من أعدائه**" لماذا؟ لأن الحرص ملازم، الحرص وصف له ملازم في خلوته وفي حضرته وفي كل وقت وأما العدو فقد يوجد وقد يغيب.

سؤال: ...

الشيخ: هو راكن إليه، واثق به.

سؤال: أحسن الله إليك، عبد الواحد بن زيد، من هو؟

الشيخ: احضر لنا ترجمته غدًا، ابحث، هو فيه عبد الواحد بن زياد معروف، لكن بن زيد ترددت فيه ولا عندي وقت، لقد نسيته وإلا كان مراجعه، عبد الواحد بن زياد هذا راو ثقة من الثقات، وقد شذ في حديث: الأمر بالاضطجاع بعد ركعتي الصبح، تفرد به عبد الواحد بن زياد وشذ، شاذ الأمر أما من فعله عليه الصلاة والسلام في الصحيح.

"**وكان رحمه الله يقول: يا إخوتاه، لا تغبطوا حريصاً على ثروته وسعته في مكسب ولا مال**" نعم لا يغبط، لماذا؟ لأنه أضاع في مقابل ذلك ما هو أنفع له منه، المقصود الحريص، "**وانظروا إليه بعين المقت**" لهذا السبب، هذا المسكين الذي أضاع أنفس ما يملك وهو عمره في جمع المال وإن كثر أضاع في مقابله العمر الذي لا قيمة له كما تقدم، "**وانظروا إليه بعين المقت له في اشتغاله اليوم بما يرديه غداً**" لأن ما جمعه سوف يحاسب عليه حساباً شديداً دقيقاً يُسأل عن كل صغير وكبير من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه "**مما**

يرديه غداً في المعاد ثم يبكي" عبد الواحد بن زيد هذا، القائل، وفي النسخة التي بين أيدينا: "**ثم يتكبر**" ولا شك أنه إذا اجتمعت عنده الأموال ونظر إلى الناس بعين الازدراء من لازم ذلك أن يتكبر عليهم.

"**وكان رحمه الله يقول: الحرص حرصان: حرصٌ فاجع وحرصٌ نافع، فأما الحرص النافع: فحرص المرء على طاعة الله**" يعني فيما ينفعه في آخرته، "**وأما الحرص الفاجع: فحرص المرء على الدنيا**" الذي من لازمه أن يضيع ما ينجيه وهو "**مشغول معذب**" معذب بما كسبه وبما فاته، مشغول معذب بما كسب خشية أن ينقص أو خشية أن يسرق أو خشية أن يذهب بالكلية بموت أو فساد أو ما أشبه ذلك، هو معذب به بما جمع، ومعذب أيضاً بما فاته متحسراً عليه "**لا يسر ولا يتلذذ بجمعه لشغله**" هل لديه من الوقت ما يتلذذ به بما جمع؟ هو حريص لهث وراء الأموال، كسب هذا يريد غيره، ثم كسب هذا يريد غيره، فليس عنده من الوقت ما يتلذذ بما جمع "**فلا يفرغ من محبة الدنيا لآخرته**" حتى إذا دخل المسجد تجد قلبه معلق بتجارته، زاد هذا نقص هذا، ويُذكر عن شخص أنه دخل في الصلاة فطفق يحسب ما كسبه، المبلغ الفلاني من كذا المبلغ الفلاني من كذا، وفقد في حسابه -هذا في وقت قديم- ريالاً، أين ذهب، حسب كل شيء موجود، حاضر في الذهن، وهو داخل يصلي! ولما سلم الإمام ضرب فخذه تذكر أين ذهب الريال، قال ريال الدبس، وهذا موجود في كل بلد وفي كل مكان وفي كل زمان، الآن يدخل الانسان إلى الصلاة ويخرج منها بلا شيء، وليس له من صلاته إلا ما عقل، وهذا في حال كثير من الناس الذين شغلوا بدنياهم "**فلا يفرغ من محبة الدنيا لآخرته كذلك وغفلته عما يدوم ويبقى**" هو منتبه لدنياه وغافل عن آخرته، "**يقول: ولبعضهم في هذا المعنى:**

لا تغبطن أخا حرصٍ على سعة" يعني سعة في مال، سعة في أمور الدنيا "**وانظر إليه بعين الماقت القالي**"

إذا كان هذا المال وهذه السعة صدته عما هو أهم من ذلك فإنه حينئذ يمقت، وإذا كان مع هذه السعة ومع هذه الأموال كسبها من وجوه حلال وأنفقها فيما ينفع به نفسه في دينه ودنياه وآخرته وينفع غيره فالأمر غير ذلك.

"**إن الحريص لمشغول بشقوته (أو بثروته) ... عن السرور بما يحو يمن المال**"

حريص ليس عنده وقت ولا للتفكير ولا للالتذاذ، الذي أفنى عمره في جمع الحطام.

"**ولآخر في هذا المعنى:**

يا جامعًا مانعًا" جامعًا منادى وهو مفرد حقه أن يبنى على الضم، لكنه لما كان نكرة غير مقصودة فإنه ينصب وينون، ويمثل العلماء لهذا: بقول الأعمى: يا رجلاً خذ بيدي، هو لا يقصد شخص بعينه، نكرة غير مقصودة.

"يا جامعًا مانعًا والدهرُ يرمقُه ... مفكرًا أيُّ بابٍ منه يغلقُه

جمعتَ مالاً ففكرْ هل جمعتَ له ... يا جامعَ المالِ أيامًا تفرقُه"

كما جاء في كلام الحكيم السابق، لما قيل له: أن فلان جمع أموالاً طائلة، قال: فهل جمع أياماً ينفقه فيها؟

"المالُ عندَك مخزونٌ لوارثِهِ ... ما المالُ مالك إلا يومَ تنفقُه" (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟).

"إنَّ القناعةَ من يَحللْ بساحتِها ... لم ينل في ظلّها همًّا يؤرقُه".

******

الدرس الثالث

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذا يسأل يقول: يريد أن يرتب أموره وينظم وقته في قراءة كتب العلم ومطالعتها ومدارستها، ويسأل سؤال ويتكرر هذا السؤال، السؤال المكرر مفاده: هل الأفضل أن يقرأ في كتاب واحد في فن واحد حتى ينتهي أو ينوع في الكتب والفنون بحيث يوزع الوقت من اليوم على أكثر من درس؟

والإجابة على هذا: في مناسبات كثيرة قلنا أن الناس يتفاوتون، بعضهم ملول يمل إذا قرأ في كتاب واحد ملّ منه وعزف عنه، فمثل هذا التنويع خير له من أن يركز على كتاب واحد فيمله ويفرغ منه في مدة وجيزة يعني إذا قرأ في ساعه خلاص انتهى، لكن لو قُدر أنه من النوع الثاني الذي يتشتت إذا قرأ في أكثر من كتاب أو في أكثر من فن وعنده صبر وجلد أن ينهي هذا الكتاب بجميع معلقاته ثم يقرأ في الفن الذي يليه، فعلى حسب حال الشخص، فإذا كان من النوع الذي يمل فمثل هذا ينوّع، وإن كان من النوع الآخر الذي يتشتت إذا قرأ في أكثر من فن فهذا يقرأ في كتاب واحد.

هذا شخص يقول: كأنه على لسان طالب علم يقول له شخص من الأغنياء: إذا كنت متفرغًا لخدمتك للدين فرزقك علي ولا تشيل هم؟

على كل حال الرزق على الله، الرزق على الله لا على أحد من المخلوقين وإن كان المخلوق سبب، يكون المخلوق سببًا في تحصيل الرزق والرازق هو الله جل وعلا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما أنا قاسم والله المعطي) فالرازق هو الله جل علا، هذا إذا كان هذا مفاد السؤال الذي بين يدي، وإن كانت الصياغة، هذا ما فهمته منه، ولا مانع أن يتفرغ أو يفرغ من قبل أهل البذل والفضل والإحسان أن يفرغ طلاب العلم متميزون يتوقع منهم النفع العام للأمة وتصرف لهم رواتب من أوقاف هؤلاء الأغنياء أو من صدقاتهم، لا مانع من ذلك ولا شك أن هذا من التعاون على البر والتقوى.

هذا يقول: مدار الحديث يقصد حديث كعب بن مالك الذي معنا، عند الترمذي وغيره، ومداره على زكريا بن أبي زائدة يقول: وقد عنعن وهو موصوف بالتدليس عن شعبة وابن جريج فهل يضعف أو لكونه عن غيرهما؟

هو في الترمذي عن غير الإثنين، في الترمذي عن غير شعبة وزكريا بن أبي زائدة عن غير شعبة، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة غير ابن جريج، وحينئذ لا يدخل في الحصر الذي ذكروه، لأنهم إذا حصروا بأنه إذا عنعن عن فلان عن فلان دلس فمعناه أنه عن غيرهما لا يدلس، وعلى كل حال الحديث له طرق وله شواهد يرتقي بها إلى الصحة، ولذلك قال الترمذي رحمه الله: حديث حسن صحيح.

هذا يقول: هل يفهم من كلام المصنف مع ما ورد من الأحاديث الأخرى: أن طلب المال المشروع على حالين: طلبه على وجه تحصل به الكفاية والغنى وعدم الزيادة على ذلك، وهذا الأفضل لما ورد في سنن أبي داود من ذبح النبي صلى الله عليه وسلم للشاة الزائدة على المائة، والحال الثانية: طلبه بلا حد مع عدم شدة الحرص وانشغاله عما هو أهم، وهذه جائزة ويشهد لها بعض أغنياء الصحابة وإطلاق مشروعية طلب الرزق.

كون الحديث يأتي سياقه ذم إنما هو في الحرص، فالحرص الذي يترتب عليه تضييع ما هو أهم من جمع المال ولو كان من حله.

سؤال: ...

هو السياق سياق الحديث سياق ذم، وسياقه أيضًا يدل على العموم، لكن هناك أحاديث تدل على أن المال إذا جمع من وجوه مباحة وصرف في أعمال الخير فالمال لا شك أنه من ضرورات الحياة من جهة ومن مقومات الدعوة من جهة أخرى وفيه نفع عام للخاص والعام، وفيه رفع حاجة الفقراء وفيه فوائد كثيرة جدًا لكن لا يترتب عليه تضييع ما هو أهم منه.

قال الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

"كتب بعضُ الحكماء إِلَى أخٍ له كان حريصًا عَلَى الدُّنْيَا: أما بعد؛ فإنَّك أصبحت حريصًا عَلَى الدُّنْيَا، تخدمها وهي تزجرك عن نفسِها بالأعراضِ والأمراض والآفاتِ والعلل، كأنَّكَ لم ترَ حريصًا محرومًا، ولا زاهدًا مرزوقًا، ولا ميتًا عن كثيرٍ، ولا متبلغًا من الدُّنْيَا باليسير.

عاتَبَ أعرابيٌّ أَخَاه عَلَى الحرصِ، فَقَالَ له: يا أخي، أنت طالبٌ ومطلوبٌ، يطلبك من لا تفوتُه وتطلبُ أنت من قد كُفِيتَه، يا أخي ألم ترَ حريصًا محرومًا وزاهدًا مرزوقًا.

وقال بعضُ الحكماء: أطولُ النَّاسِ همًّا الحسودُ، وأهنؤُهم عيشًا القنوعُ، وأصبرُهم عَلَى الأذى الحريصُ، وأخفضُهم عيشًا أرفضهم للدنيا، وأعظمُهم ندامةً العالمُ المفرط."

العالم إذا فرط في الوقت، إذا أضاع من وقته الساعة والساعتين والقيل والقال أو فيما نفعه أقل ثم ذهب الوقت ندم على ذلك، فالله المستعان، الله يعفو ويسامح.

"ولبعضِهم في هذا المعنى:

الحرصُ داءٌ قد أضـ ... رّ بمن ترى إلا قليلاً

كم مِنْ عزيز قد ... صَيَّرَه الحرص ذليلاً"

في بعض النسخ: كم من حريص طامع ... صيره الحرص ذليلاً

"ولغيره:

كم أنتَ للحر ... صِ والأماني عَبْدُ

ليسَ يجدي الحرصُ ... والسَّعْيُ إذا لم يكن جَدُّ

ليسَ لما قدره الله ... من الأمر بُدُّ

ولأبي العتاهية يخاطب سلمًا الخاسر:

تعالى الله يا سلمُ بن عَمْرٍو ... أذَلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

ومن كلامِ المأمونِ: الحرصُ مفسدةٌ للدينِ والمروءةِ.

وأنشدَ شعرًا:

حرصُ الحريصِ جنونُ ... والصَّبر حصنٌ حصينُ

إِنْ قدَّر الله شيئًا ... لابد من أن يكونُ

غيره:

حتَّى متى أنا في حلٍّ وترحالِ ... وطولِ سعيٍ وإدبارٍ وإقبالِ

ونازِحُ الدَّارِ لا ينفكُّ مغتربًا ... عن الأَحبةِ لا يدرونَ ما حالِ

بمشرقِ الأرضِ طورًا ثم مغربِها ... لا يخطرُ الموتُ من حرصٍ عَلَى بال

ولو قنعت أتاني الرزقُ في دعةٍ ... إنَّ القنوعَ الغنيُّ لا كثرة المالِ

غيره:

أَيُّهَا المتعبُ جهدًا لنفسه ... يطلبُ الدُّنْيَا حريصًا جاهدًا

لا لك الدُّنيا ولا أنت لها ... فاجعل الهمَّينِ همًّا واحدًا"

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

يقول المؤلف رحمه الله: "**كتب بعض العلماء إلى أخ له كان حريصًا على الدنيا**" لا شك أن الزهد في الدنيا مع أخذ ما تقوم به حياته لا شك أن هذا هو الحكمة وهو العقل أيضًا، ولذا قال بعضهم: لو أوصى بعضهم إلى عُقل الناس أو إلى عقلاء الناس فإن الوصية تنصرف إلى الزهاد.

"**كتب بعض العلماء إلى أخ له كان حريصًا على الدنيا: أما بعد، فإنك**" (أما) حرف شرط، و(بعد) قائم مقام الشرط مبني على الضم، لأنه مقطوع عن الإضافة مع نية المضاف إليه، والفاء واقعة في جواب الشرط، وما بعده هو جواب الشرط "**فإنك أصبحت حريصًا على الدنيا تخدمها**" لا شك أن الحريص يخدم المال ويخدم الدنيا، والقنوع الدنيا تخدمه والمال يخدمه.

"**فإنه أصبحت حريصًا على الدنيا تخدمها وهي تزجرك عن نفسها**" أنت تتقرب إليها بكل ما تستطيع، وهي تعطيك ما يرغّبك فيها تارة من الأرباح والمكاسب وما فيها من زهرة، وتزجرك بالأمراض والأعراض كما قال هذا الحكيم: "**وهي تزجرك عن نفسها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل**" هذه كلها مما يزهد في الدنيا ويرغّب في الآخرة التي هي في حقيقتها خالية من كل ذلك.

"**كأن لم تر حريصًا محرومًا**" نعم يلهث ليل نهار وفي النهاية لا شيء! "**وزاهدًا مرزوقًا**" قبل عشر سنوات سُرق من بيت أحد العلماء العباد الزهاد، سُرق ٥٠ ألفًا، وهذا الشخص أنا أعرفه منذ أكثر من خمسين سنة، لا يتعدى البيت والمسجد، من البيت إلى المسجد، فقال القائل: كيف استطاع السارق أن يسرق من

بيت هذا الرجل الصالح الذي من صلاة العشاء في بيته إلى أن يصلي صلاة الصبح، كيف؟ أنا قلت: أعجب من ذلك كيف اجتمع المال عند هذا الرجل الصالح وهو لا يتسبب، ولا يقبل الصدقات، وليس له سبب واضح معلوم يجمع فيه الأموال "**كأنك لم ترى حريصًا محرومًا وزاهدًا مرزوقًا**" الرزق بيد الله جل وعلا، وكثرة الدخل والأرباح والرواتب لا تعني أن هذا أكثر مالاً من غيره، كم من فرّاش يداين المدير! وهذا راتبه كثر هذا عشر مرات، البركة بيد الله جل وعلا، وهذا شيء مشاهد، والمسألة مسألة إخلاص وإبراء ذمة من العمل قبل كل شيء لتحل البركة، وحسن تدبير "**ولا زاهدًا مرزوقًا، ولا ميتًا عن كثير**" ماتوا عن مئات الملايين، ثم ماذا؟

"**ولا متبلغًا من الدنيا باليسير**" من غرائب ما سمعت من القصص، شخص توفي قبل سُنيات أربعة سنوات أو خمس، في البيت بمفرده والبيت ليس فيه كهرباء ولا ماء، بيت طين مهجور وليس فيه أي أثاث ينام على كرتون ثلاجة، ويأخذ الماء من المسجد والكهرباء لا يحتاجه يشعل قرطاسة إلى أن يصل إلى مكان النوم ينام وإذا صلى الفجر انتهى الإشكال خلاص طلع النور، ويتصدق عليه الناس، وهو معلم مدرس، درس ما يقرب بالأربعين سنة، قالوا: هذا لا يصرف شيئًا، فأين أمواله التي جمع خلال هذه المدة؟ بحثوا وحفروا في المجلس الذي يجلس فيه ظنوا أن فيه شيء فوجدوا الرواتب من أول شهر توظف إلى أن مات كل راتب مربوط بحبل ومكتوب عليه تاريخه في علب الحليب موجودة مدفونة كما هي ما نقصت ولا ريال! وعنده شنط مصفوفة بعضها فوق بعض فيها مشالح بشوت، لأنه جرت العادة في بلدهم أنه إذا تزوج ولد أخ أو بنت أخ أو ولد بنت أو شيء من هذا يعطى العم أو يكون خال يعطى بشت، وهذه بعدد الأفراد الذين تزوجوا من أولاد إخوانه وأولاد أخواته، وهو يحسن عليه من يطرق الباب يجيب له غداء ولا عشاء، هل هذه حياة؟ طيب الزكاة! أقل الأحوال الزكاة الواجبة وركن من أركان الإسلام، لما عدوا الأموال ما نقص ولا ريال سبحان الله العظيم، وهذه حالة من أندر الحالات ومن أغرب الوقائع، نعوذ بالله من الحرمان نعوذ بالله من الحرمان.

"**وعاتَبَ أعرابيٌّ أَخَاه عَلَى الحرصِ، فَقَالَ له: يا أخي، أنت طالبٌ ومطلوبٌ**" أنت طالب لما تحتاجه من هذه الدنيا، وأنت مطلوب "**يطلبك من لا تفوته**" يعني إذا جاء أجلك أنت مطلوب للآخرة للموت مدة معينة وتنتهي، هل تتصور أن تفوت؟ نعم؟ لا يمكن ولو ملكت الدنيا كلها، ولو كنت على أقوى دولة وأقوى جيش ما تستطيع أن تتأخر لحظة، "**يطلبك من لا تفوتُه، وتطلبُ ما قد كُفِيتَه**" الرزق مضمون ولكنه يحتاج إلى بذل سبب "**كأنك يا أخي لم تر حريصًا محرومًا وزاهدًا مرزوقًا**" يعني مثل ما تقدم.

"**وقال بعضُ الحكماء: أطولُ النَّاسِ همًّا الحسودُ**" نسأل الله العافية، الذي لا يرتاح إلى أن تزول النعمة عن أخيه وفي هذا الهم والغم والحسد أخوه يزداد رفعة ويزداد رزقًا ولا يستطيع أن يصنع شيئًا، وهو في هم وغم دائم. " **أطولُ النَّاسِ همًّا الحسودُ، وأهنؤهم عيشًا القنوعُ**" إذا قنع بما آتاه الله ارتاح، "**وأصبرهم على الأذى الحريص**" يصبر على الأذى والإهانة من أجل أن يحصل له ما يطلب "**وأخفضهم عيشًا أرفضهم للدنيا**" يعني العيش الهني المتوسط الذي ليس فيه زيادة تضره ولا نقص يحتاج إلى إكماله.

"**وأعظمهم ندامة العالِم المفرط**" نعم، العامي إذا جلس للأنس مع أهله أو مع إخوانه أو مع أصدقائه، إذا انتهى فالتبعة عليه أقل من العالِم، يعني العامي عليه تبعة لو أنفق هذا الوقت في ذكر الله أو قراءة أو ما أشبه ذلك كان أفضل، لكن ليس كالعالِم الذي عليه تبعات بسبب بعلمه وعليه زكاة لهذا العلم إذا فرط في الساعة والساعتين ثم أفاق ندم على أن ضاع هذا الوقت بدون نفع ولا انتفاع، بقدر ما تعطي تؤجر، بقدر ما تُضيّع تندم، يعني من الشيوخ الذين أدركناهم من عمل ستين سنة ما أخذ إجازة ولا يوم، ولا راح لرحلة ولا نزهة ولا يوم واحد، كله في العلم والدعوة، وبالمقابل الله يعفو ويسامح، تضيع الأيام والشهور والأوقات بالقيل والقال إما مع الأهل أو الأولاد أو في تنمية الأموال أو مع الأصدقاء في الرحلات والنزهات والاستراحات، واحد من الملازمين للشيخ ابن باز رحمة الله عليه كان بالمدينة يقول: أنه سافر مرة على السيارة إلى ينبع ومعه اثنين يتناوبان القراءة فقال واحد منهم: يا شيخ لو نرتاح نشوف ونتفكر في مخلوقات الله جبال وأودية وغيرها، قال: أنت تفكر دامه يقرا، وهو يتفكر إذا قرأت أنت. يقول: لا تعرضن لذكرنا مع ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد، الله المستعان.

يقول: "**ولبعضِهم في هذا المعنى: الحرصُ داءٌ قد أضرّ ... بمن ترى إلا قليلاً**

كم مِنْ حريص طامعٍ ... صَيَّرَه الحرص ذليلاً"

وفي نسخه: "**عزيز قد صيره الحرص ذليلاً**" الحرص يذل، والقناعة عز كما قيل: عز من قنع وذل من طمع، "**وقال غيره: كم أنت للحرص والأماني عبد، ليس يجدي الحرص والسعي إذا لم يكن جد**" لأن بعضهم يكون في نفسه حريص جدًا لكن في جسده تكاسل، يريد كل شيء ويمني نفسه بالأماني الكاذبة، وفي النهاية لا شيء، وعلى الإنسان أن يكون جادًا في حياته في أمور دينه وفي أمور دنياه "**ما لما قدره الله ... من الأمر بُدُّ**" لابد أن يكون ما قدره الله ولابد أن يقع ولابد أن يكون على مراد الله.

"**ولأبي العتاهية يخاطب سلمًا الخاسر**" سلم بن عمرو بن حماد، من المعاصرين لأبي العتاهية، وهو من الملازمين لبشار بن برد، وسمي الخاسر لأنه ورث مصحفًا فباعه واشترى بقيمته طنبورًا، باع المصحف واشترى طنبور.

"**تعالى الله يا سلم بن عمر ... أذل الحرص أعناق الرجال**" قال: "**ومن كلام المأمون**" الخليفة المعروف "**الحرص مفسدة للدين والمروءة**" ولا شك أن الحرص يكون على حساب غيره، الحرص على الدنيا يكون على حساب التفريط في أمور الآخرة، والحرص أيضًا يخل بالمروءة، لأنه لابد أن يقع منه بسبب حرصه على ما ينتقده به الناس "**وأنشد بعضهم: حرص الحريص جنون ... والصبر حصن حصين**" حرص الحريص يعني القدر الزائد والتفريط غير مقبول، التفريط لا يقبل لا في أمور الدين ولا في أمور الدنيا، لكن الحرص المراد به القدر الزائد على ما يُحتاج إليه في تحصيل مصالح الدين والدنيا "**حرص الحريص جنون ... والصبر حصن حصين، إن قدر الله شيئًا ... لابد من أن يكون**" وفي نسخه: "**فإنه سيكون**".

"**وقال غيره: حتى متى أنا**" وفي بعض النسخ: أنت، "**في حل وترحال وطول سعي وإدبار وإقبال، ونازح الدار لا ينفك مغتربًا**" يعني دائم مغترب "**عن الأحبة لا يدرون ما حال**" إذا اغترب عنهم ونأى عنهم فإنهم لا يعلمون ما حاله لاسيما في أزمان مضت، يسافر الرجل ثم تنقطع أخباره يموت أهله وذووه الواحد تلو الآخر وهو لا يدري يسافر من المشرق إلى المغرب تنقطع أخباره ما فيه وسائل اتصال أو العكس، كان بعضهم إذا سافر لطلب العلم تأتيه الرسائل كل سنة رسالة أو رسالتين فلا يفتحها، لماذا؟ لأنه قد يكون فيها ما يكدره ويصرفه عما هو بصدده من طلب العلم، وليس بيده حيلة إذا أراد أن يرجع يحتاج إلى ستة أشهر ثلاثة أشهر أربعه أشهر بالوسائل السابقة، فلا يفتحها، ذُكر ذلك في التراجم، تنقطع الأخبار، الآن في أقصى الدنيا وتخاطبه وتشاهده في الوقت نفسه "**عن الأحبة لا يدرون ما حال، بمشرق الارض طوراً ثم مغتربًا ... لا يخطر الموت من حرص على بال**" ينسون الموت، الحريص واللهث على الدنيا ينسى الموت، ولذلك يقع فيما حرمه الله عليه، وقد يقع فيما يضره في بدنه من حرصه وقد يقع فيما يضره في ماله، من شدة الحرص يزيد في الصفقة فتعود عليه بالخسران "**ولو قنعت أتاني الرزقُ في دعةٍ ... إنَّ القنوعَ الغنى لا كثرة المالِ**" القناعة هي الغنى، ليس الغنى كثرة المال، كثرة المال القدر الزائد عن الحاجة ماذا ينفع وماذا يفيد إن لم يرصده لنفع غيره؟ لأن بعض الناس يملك مئات الملايين فيتعب حتى يصل للمليار، هذا موجود في التجار اليوم، ويزيد تعبه حتى يزيد على ذلك، وفي الحديث: (لو أعطي ابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثًا) وهكذا طيب ما الفرق في حياة الرجل مع أسرته بين مائة مليون ومليار وش الفرق بينهن؟ هي أرقام

فقط، مائة مليون لن يأكلها كلها، ويتعب حتى يحصل المليار، ثم ماذا؟ وقد يتطلب الأمر إلى ارتكاب شيء من المحرمات التي تقضي على ما جمع وبعضهم يتعب لجمع الأموال ثم يعاقب بصرفها على نفسه في علاج وغيره، عقوبة من الله جل وعلا، إما أن يقتحم المحرمات وإما أن يخل بالواجبات وهذه نتيجة الحرص.

قال: "**ولمحمود الوراق: أيها المذهب جهدًا لنفسه ... يطلب الدنيا حريصًا جاهدًا، لا لك الدنيا ولا أنت لها**" أنت لم تخلق للدنيا، وإنما خلقت لعبادة الله جل وعلا "**فاجعل الهمين همًا واحدًا**" الآن عندك هم لدنياك وهم لآخرتك فاجعل هذين الهمين همًا واحدًا واجعله لدينك وآخرتك فتكفى هم الدنيا.

المتن:

النَّوعُ الثَّاني من الحرص عَلَى المال:

أن يزيدَ عَلَى ما سبق ذكرُه في النوعِ الأول، حتى يطلبَ المال من الوجوه المحرمة ويمنع الحقوقَ الواجبة، فهذا من الشحَّ المذموم.

قال الله تعالى: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

وفي سنن أبي داودَ عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم"

الشيخ: عندك عن ابن عمر؟

القارئ: نعم ابن عمر.

الشيخ: لكن المحقق قال هنا هو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وليس من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، والتصويب من المصادر التي أخرجت الحديث.

"عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اتَّقُوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالقطيعةِ فَقَطَعُوا، وأمَرهم بالبخلِ فبخلوا، وأمرَهم بالفجورِ ففجروا".

وفي "صحيح مسلم" عن جابرٍ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "اتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ".

قال طائفةٌ من العُلَمَاء: الشحُّ هو الحرصُ الشديدُ الَّذِي يحمل صاحبَه عَلَى أن يأخذَ الأشياءَ من غير حلِّها ويمنعها من حقوقها.

وحقيقتُه شَرَّهُ النَّفس إِلَى ما حرَّمَ اللهُ ومنع منه، وأن لا يقنعَ الإنسانُ بما أحل الله له من مالٍ أو فرجٍ أو غيرهما، فإن الله تعالى أحلَّ لنا الطيبات من المطاعم والمشارب، والملابس والمناكح وحرَّمَ علينا تناول هذه الأشياء من غير وجوه حلِّها، وأباح لنا دماءَ الكفارِ والمحاربين وأموالَهم، وحرَّم علينا ما عدا ذلك من الخبائثِ من المطاعم والمشارب، والملابس والمناكح، وحرم علينا أخذَ الأموال وسفك الدماء بغير حلها.

فمن اقتصرَ عَلَى ما أبيحَ له فهو مؤمنٌ، ومن تعدَّى ذلك إِلَى ما منعَ منه فهو الشحُّ المذمومُ، وهو مناف للإيمان.

ولهذا أخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم أنَّ الشُّحَّ يَأْمرُ بالقطِيعةِ والفجورِ وبالبخل.

والبخل هو إمساكُ الإنسان ما في يده.

والشُّحَّ: تناولُ ما ليس له ظلمًا وعدوانًا من مالٍ أو غيره، حتَّى قيل: إنَّه رأسُ المعاصي كلُّها.

وبهذا فسَّر ابنُ مسعودٍ وغيره من السَّلفِ الشحَّ والبخلَ.

ومن هنا يُعلمُ معنى حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "لا يجتمعُ الشحُّ والإيمانُ في مؤمنٍ".

والحديثُ الآخرُ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قالَ: "أفضلُ الإيمانِ الصَّبرُ والسماحةُ".

وَفُسِّر الصبرُ بالصبرِ عن المحارم، والسماحةُ بأداءِ الواجباتِ.

وقد يُستعملُ الشحُّ بمعنى البخلِ وبالعكسِ، لكنَّ الأصلَ هو التفريقُ بينهما عَلَى ما ذكرناه.

ومتى وصلَ الحرصُ عَلَى المالِ إِلَى هذه الدرجة، نقص بذلك الدينُ والإيمانُ نقصًا بيّنًا فإِنَّ مَنْعَ الواجباتِ وتناولَ المحرماتِ ينقصُ بهما الدين والإيمانُ بلا ريبٍ حتى لا يبقى منه إلا القليل جدًّا." هنا سقط سطر.

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: "النوع الثاني من الحرص على المال: أن يزيد على ما سبق" يحرص على جمع الأموال ويصرف وينفق لذلك الأوقات الطويلة، لكنه يبقى أنه يكتسب الأموال من حلها، وهنا يزيد على ذلك "يزيد على ما سبق ذكره في النوع الأول حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة" هذا الأمر هو الذي حمل السلف على ترك أكثر المباح، حتى قال بعضهم: تركنا تسعة أعشار الحلال خشيت أن نقع في الحرام، لأن الإنسان إذا استرسل مع المباحات قد يطلبها بعد ضراوة نفسه عليها من الوجوه المباحة فلا يجدها، فيضطر إلى أن يزاول ما فيه شبهة، ثم يتعدى ذلك ويتطور إلى أن يطلبها من الوجوه المحرمة، ونسمع من

التأويلات لبعض الناس الذين توسعوا في المباحات حتى صاروا يبحثون عن الأقوال الشاذة في حكم بعض المسائل وبعض صور المعاملات، ثم بعض ذلك يتجاوزونه إلى أن يقعوا في المحرم الذي لا شبهة فيه، السلف حرصهم على دينهم جعلهم يتركون قد صرح به بعضهم: تسعة أعشار الحلال، خشية أن يقعوا في الحرام يقتصروا من دنياهم على البُلغة، ما يبلغهم إلى تحقيق الهدف الذي من أجله خلقوا وهو تحقيق العبودية لله جل وعلا، "**حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة ويمنع الحقوق الواجبة**" الصنف الأول: يطلب المال من الوجوه المباحة، لكنه يحرص في طلبه ويفرط في أمور كثيرة هي أهم مما حرص عليه، ولذا ذُم من هذه الحيثية "**حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة ويمنع الحقوق الواجبة، فهذا من الشح المذموم.**" وسيأتي كلام المؤلف رحمه الله عن الشح، والشح والبخل متقاربان في المعنى وبينهما فروق سيذكرها المؤلف، وقد يطلق الشح ويراد به البخل كما قالت امرأة أبي سفيان في الصحيحين: جاءت إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقالت له: إن أبا سفيان رجل شحيح، تعني بخيل، يبخل بما أوجب الله عليه من النفقة، وبعضهم يقول: الشح هو البخل إلا أنه مع حرص، وأنتم تشاهدون بعض الناس بخيل لكن ليس بحريص، لكن الذي يقع في يده ما يخرج خلاص، لكنه لا يتسبب في طلب الرزق أو يتسبب بطريقة ليس فيها نوع حرص، لكن بعض الناس نسأل الله العافية يحرص ويجمع ثم يمنع هذا هو الشحيح "**فهذا من الشحَّ المذموم. قال الله تعالى: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**" الفلاح كلمة جامعة للخير والفوز والظفر بالمصالح الدنيوية والأخروية {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

"**وفي سنن أبي داودَ عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اتقوا الشح)**" اجعلوا بينكم وبينه وقاية "**فإن الشح أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا**" والشحيح وقد طُلب منه أن يصل رحمه، وقد تتطلب الصلة بذل المال، أقل الأحوال لو بيأخذ دابة يستأجر دابة أو يشتري دابة يصل بها إلى من وجبت صلته أو بره، ثم الشح يمنعه من ذلك، هذا أقل ما يتصور، وأقل منه مكالمة أو مهاتفة من تجب صلته ثم لا يتصل يقول الفاتورة! يعني بدلاً من أن تذهب إليه بنفسك وتتجشم الوصول إليه تبخل وتشح بمكالمة في قيمة يسيرة جدًا كما هو مشاهد الآن، "**أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا**" بخلوا بما أوجب الله عليهم، وكم نرى في الواقع من يبخل على نفسه ويبخل على زوجته ويبخل على أولاده وبناته ويجعلهم يتكففون الناس وهو غني، والأمثلة على ذلك كثيرة والأسئلة أيضًا عن هذا، هل تأخذ من الزكاة الزوجة وزوجها غني لكنه شحيح أو لا تأخذ؟

هذه المسألة معروفة عند أهل العلم، ومع الأسف الشديد أن بعضهم غناه طائل وفاحش، ثم تحتاج زوجته أو تحتاج بناته أن يشتغلن في بيوت الناس، هذا موجود والأسئلة عنه كثيرة، لكن ما على هؤلاء إلا أن

يتقدموا إلى القضاء ويفرض على هؤلاء الذين منعوا ما أوجب الله عليهم ما يجب عليهم، "**وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**" بخل أمرهم بالفجور ففجروا، كيف أمرهم بالفجور؟ إما بأيمان كاذبة أو بمزاولة محرمات وفواحش ليكتسبوا من ورائها والله المستعان.

بالنسبة لعبد الواحد بن زيد الذي مر في درس الأمس والتبس بعبد الواحد بن زياد فيما ذكرنا أمس، **يقول الذهبي في تاريخ الإسلام**: عبد الواحد بن زيد أبو عبيدة البصري العابد القدوة شيخ الصوفية بالبصرة، روى عن الحسن وعطاء بن أبي رباح وعبادة بن نُسي وعبدالله بن راشد وجماعة سواهم، وعنه يعني روى عنه: وكيع ومحمد بن سماك وزيد بن الحباب وأبو سليمان الداراني ومسلم بن إبراهيم وجماعة، وهو ضعيف الحديث لأنه من العباد ومن النساك ومثل هذا يغلب فيهم الضعف لانشغالهم عن تحفظ الحديث وحفظه، فيغفل بسبب انصرافه للعبادة عن حفظ الحديث فتأخذه الغفلة التي يقول عنها العلماء: غفلة الصالحين، وهو ضعيف الحديث، قال البخاري: عبد الواحد بن زيد تركوه، قال النسائي: متروك الحديث، وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه العبادة حتى غفل عن الإتقان فكثرت المناكير في حديثه.

لكن هل مثل هذا الكلام من الأئمة يؤثر في كلامه الذي مر؟ لا علاقة له بالرواية، وقد ينبغ الإنسان في جانب ويضعف في جوانب، أبو حنيفة متكلم فيه مع أنه الإمام الأعظم في الفقه، متكلم في حفظه، عاصم بن أبي النجود إمام من أئمة القراء ولا أحد يرتاب ولا يتردد في تواتر قراءته ومع ذلك غفل عن تحفظ الحديث ووقع في حديثه ما وقع، محمد بن إسحاق إمام في المغازي ومع ذلك مضعف في الرواية.

قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان: أصاب عبد الواحد الفالج، فسأل الله أن يطلقه في وقت الوضوء، فإذا أراد أن يتوضأ انطلق وإذا رجع إلى سريره فُلج، وذكر له مواعظ ومواقف حذفتها اختصارًا، يقول الذهبي: قال ابن أبي حاتم: وحدثنا محمد قال: حدثنا يحيى بن بسطام: من أراد أن يراجع ترجمته وينظر في هذه المواعظ والمواقف يجدها في تاريخ الإسلام في الجزء الرابع صـ١٣٩ إلى ١٤٢، ونحذف بقية الكلام اختصارًا.

قال رحمه الله: "**وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم) قال طائفة من العلماء: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على أن يأخذ الأشياء من غير حلها ويمنعها حقوقها**" يأخذ الاشياء من غير حلها يعني: كسبه حرام وفيه حرام وإنفاقه في وجوه محرمة.

قال: "**وحقيقته: شره النفس**" وفي نسخه: "**أن تتشوف النفس، إلى ما حرم الله ومنع منه، وأن لا يقنع الإنسان بما أحله الله له من مال أو فرج**" ماذا عندكم؟ خرج؟ الخرج كأنه يريد الخراج الذي هو نوع من أنواع المال، على كل حال الفرج أوضح لأنه سيأتي ذكر المناكح "**فإن الله تعالى أحل لنا الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم تناول هذه الأشياء من غير وجوه حلها**" أحل لنا الطيبات لكن شريطة أن يكون كسبها والحصول عليها من وجوه مباحة "**من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم تناول هذه الأشياء من غير وجوه حلها وأباح لنا دماء الكفار والمحاربين وأموالهم**" ما لم يكونوا ذميين أو معاهدين فإن قتل الذمي جاء في من قتله: لم يرح رائحة الجنة، وكذلك من قتل معاهدًا إلى غير ذلك من الأمور المعروفة، وقتل حتى المحاربين إذا ترتبت عليه مفسدة وفي غير الجهاد في غير القتال لاشك أن هذا لا يجوز، نعم لاشك أن الكفار أصناف ومنهم من لا يجوز قتله كما جاءت في ذلك النصوص، ومن يجوز قتله أيضًا يحتاج إلى روية وتثبت ونظر في مصالح ومفاسد ولا يجوز ذلك إلا في قتال في جهاد مع الإمام، وليس للأفراد أن يقتلوا من شاءوا ولو كانوا من المحاربين، "**وحرم علينا ماعدا ذلك من الخبائث من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم علينا أخذ الأموال وسفك الدماء بغير حقها، فمن اقتصر على ما أبيح له فهو مؤمن**" يقتصر على المباح ولا يتعدى ذلك إلى الحرام "**ومن تعدى ذلك إلى ما منع منه فهو الشح المذموم وهو مناف للإيمان**" يعني لكماله إذا لم يصل إلى حد يخرجه من الملة، "**ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الشح يأمر بالقطيعة والفجور وأيضًا يأمر بالبخل، والبخل هو: إمساك الإنسان ما في يده، والشح: تناول ما ليس له ظلمًا وعدوانًا من مال وغيره، حتى قيل: أنه رأس المعاصي كلها**" ما دام يحمل على القطيعة ويحمل على الفجور ويحمل على ما ذكر حتى يحمل على القتل، قد يحمل على ما هو أعظم من ذلك المقصود أنه رأس المعاصي كما قيل كلها "**وبهذا فسر ابن مسعود وغيره الشح والبخل**" وقلنا في أول الكلام أن منهم من فرق في كتب علوم القرآن في الموطن الذي يفرق فيه بين الألفاظ المتقاربة، لأن هناك ألفاظ يُظن فيها الترادف وهي في حقيقتها بينها فروق قد يدركها البعض وقد لا تدرك، وموضوعها كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، وهذا من أنفع ما صنف في هذا.

"**ومن هنا يُعلمُ معنى حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (لا يجتمعُ الشحُّ والإيمانُ في مؤمنٍ)**" يعني الإيمان الكامل، وإلا فقد يبخل الإنسان وقد يشح وقد يتعدى ويأخذ المال من غير حله وقد يرتكب المحرمات في سبيل الحصول على المال وقد يتنازل عن واجبات كما مر في سبيل الحصول على المال.

سؤال: ...

الشيخ: طيب إذا شح بجاهه أو بخل به أو بمساعدته ببدنه بخل بذلك أو شح به على غيره لا شك أنه يدخل ويكون من غير المال.

"**والحديث الآخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أفضل الإيمان الصبر والسماحة)**" الصبر معروف، والسماحة قالوا: أن تجود النفس بأداء ما أوجب الله عليك وبما ندبك إليه قال: "**وفسر الصبر: بالصبر عن المحارم**" الصبر بأنواعه: الصبر على الواجبات والصبر عن المحرمات والصبر على الأقدار.

"**والسماحة بأداء الواجبات. وقد يستعمل الشح بمعنى البخل وبالعكس**" (إن أبا سفيان رجل شحيح) تعني بخيل "**ولكن الأصل هو التفريق بينهما على ما ذكرنا**" لأن بعضهم أثبت الترادف من كل وجه، بعض العلماء أثبت الترادف من كل وجه، وأنه يوجد لفظان مختلفان في اللفظ لكن المعنى واحد من كل وجه، وبعضهم نفى ذلك نفيًا مطلقًا وقال: لابد من الفروق، هذا كلام شيخ الإسلام وغيره، أنه لابد من أن توجد فروق، ومن نظر في كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال وجد، النوع والصنف والضرب والقسم موجود ولها فروق كثيرة قام وقعد وجلس بينها فروق.

سؤال: أحسن الله إليك، عندما قال: البخل هو إمساكُ ما في يده، هل يدخل فيها أن البخل فيه إمساك ما ليس في يده كالخادم الأمين ...؟

الشيخ: هذا أشد من البخل، ومع الأسف أنه يوجد بعض الخزنة ممن يولون على أموال وبيوت أموال وتوزيع صدقات توزيع إعانات وتوزيع كتب مثلاً في المستودعات، فيبخل بذلك على طلبة العلم وليس من جيبه شيء، هذا أيضًا يتعدى البخل.

يقول: "**ومتى وصل الحرص على المال إلى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والإيمان نقصًا بينًا، فإن منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين**" بلا شك منع الواجبات يأثم صاحبه، يأثم من منع ما أوجب الله عليه، وكذلك يأثم من تناول المحرمات، وكل هذا مناقض للتقوى التي هي فعل الواجبات وترك المحرمات "**ينقص بهما الدين والإيمان بلا ريب**" لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وكل من منع الواجبات وتناول المحرمات كل هذا مما يأثم به وينقص به إيمانه "**بلا ريب حتى لا يبقى منه إلا القليل جدًا**" يعني يتدرج في هذا النقص والسيئة تقول أختي أختي حتى يجد نفسه قد خرج من الدين وهو لا يشعر، وكم من آية ذيلت بقوله جل وعلا: {ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ} أوله معاصي وعدوان ثم بعد ذلك يتطور

الأمر إلى ما هو أعظم من ذلك حتى يصل إلى أن يخرج من الدين، وقرأنا عن بعض المبتدعة كلام لا يحتمله عقل، وهم أهل ذكاء، وذكاء مفرط، كيف يصل بهم الأمر إلى أن يقولوا مثل هذا الكلام؟ المسألة استدراج، يُستدرج بالكلام يتكلم بالكلمة التي ليست مما يرضي الله جل وعلا ثم يعاقب بما هو أشد منها، ثم ما هو أكثر من ذلك حتى نسمع أو سمعنا من بعض المبتدعة الكلام الذي لا يطاق سماعه، يعني هل يتصور عاقل يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله يقول في يوم من الأيام سبحان ربي الأسفل! يتصور هذا؟ إلا أنه عوقب ما يُأول كلامه هذا، لكنه قال كلمة من سخط الله فعوقب بأشد منها ثم عوقب بأشد إلى أن وصل به الأمر إلى أن قال مثل ذلك، وقال الآخر: ألا بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب، والله جل وعلا يقول: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} كل هذه عقوبات.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

******

الدرس الرابع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذا يقول: نود توجيهًا لمعشر طلاب العلم في قضية مهمة أحسبها كذلك وهي الدعوة للأقربين خاصة، وذلك لما نشاهده من ضعف في تأثير الطلاب بين مجتمعاتهم وأقاربهم، وللأسف فإن كثيرًا من المجتمعات لما غاب دور الطلاب خرج من يتكلم بغير علم، الأصل في العالم أو طالب العلم أنه قدوة في أقواله وأفعاله، وأنه يكون متأسيًا مقتديًا بالنبي عليه الصلاة والسلام ووارثًا لعلمه ودعوته {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا} وقد يؤدي العالم دوره في التعليم ويضعف في جانب الدعوة، وقد يكون بالعكس، وهذا الكلام الذي يقال ويدار من ضعف العلماء أو بعض العلماء وبعض طلاب العلم في دعوتهم للأقربين، كما جاء في قوله جل وعلا: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} والأقربون كما هو معلوم هم أولى بالمعروف، ولكن نعرف من الشيوخ الكبار من بذل وحرص على الأقربين ورتب لهم دروس مناسبة لهم وبذل السبب ولكن النتائج بيد الله، يعني ما طلع من أولادهم علماء بل وجد في أولادهم ونسائهم من هو إلى العامية أقرب وإلى أفعال العامة أقرب، وقد يكون الشيخ الذي بين أظفرهم إمام من أئمة المسلمين، لكن هل يلام إذا بذل السبب؟ لا يلام، لا يلام إذا بذل السبب، فالنتائج والهداية بيد الله جل وعلا، وعرفنا من الأنبياء من لم يؤمن به أقرب الناس إليه كزوجته وولده، مع أننا نقطع ونحلف على أنه لم يقصر في حقهم، ونعرف من شيوخنا من بذل السبب ويعتصره الألم حينما يذكر له صلاح الأولاد، لكن الأمور كلها بيد الله الهداية بيد الله، وأجره على الله إذا بذل السبب سواءً اهتدوا وهو المطلوب أو لم يستجيبوا والأمر ليس بيده وهو مأجور على جهاده معهم، لكن مع ذلك عليه أن يستمر في ذلك، وأن لا يغفل عنهم يقول بذلت وبذلت وما فيه فائدة لا، يستمر في دعوتهم ونصحهم وتوجيههم وإرشادهم ويستمر أيضًا في مراقبتهم، فما يذكره السائل له حظ من النظر لكن أكثر الأمور تخفى على كثير من الناس، ونشاهد في مجتمعنا وفي غيره من أولاد المشايخ من لا يكون على حد يطلبه أبوه من الاستقامة والعلم وما أشبه ذلك لكنه ما قصر، بينما يوجد في أولاد أوساط الناس وعامتهم من يحمل العلم والعمل، كل هذا بيد الله جل وعلا، لكن على الإنسان ألا يقصر في بذل ما يستطيعه من دعوة الأقربين ثم الذين يلونهم من الحي وجماعة المسجد ثم البلد ثم ينتشر علمه في الآفاق ودعوته كذلك.

قال الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:

"وأمَّا حرصُ المرءِ عَلَى الشَّرفِ فهذا أشدُّ هلاكًا من الحرص عَلَى المال فإنَّ طلبَ شرفِ الدُّنْيَا والرفعةِ فيها، والرياسةِ عَلَى النَّاسِ والعلو في الأرض أضرُّ عَلَى العبد من طلب المال، وضررُه أعظمُ، والزهدُ فيه أصعبُ، فإنَّ المال يبذلُ في طلبِ الرياسةِ والشَّرفِ.

والحرصُ عَلَى الشَّرفِ عَلَى قسمين:

أحدهما: طلبُ الشَّرفِ بالولايةِ والسُّلطانِ والمال.

وهذا خطرٌ جدًّا، وهو الغالبِ، يمنعُ خيرَ الآخرةِ وشَرَفَها وكرامَتها وعزَّها.

قال الله تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ...} الآية.

وقلَّ مَنْ يحرصُ عَلَى رياسةِ الدُّنْيَا بطلبِ الولاياتِ فوفق؛ بل يُوكلُ إِلَى نفسهِ، كما قال النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– لعبد الرحمنِ بن سمرةَ: (يا عبدَ الرحمنِ، لا تسألِ الإمارةَ، فإنَّكَ إن أُعْطيتَهَا عن مَسألةٍ وُكّلتَ إليها، وإنْ أُعْطيتَهَا من غير مسألةٍ أُعنتَ عليها).

قال بعضُ السَّلفِ: ما حرصَ أحدٌ عَلَى ولايةٍ فعدل فيها.

وكان يزيدُ بنُ عبد الله بن موهبٍ من قضاةِ العدلِ والصَّالحين، وكان يقولُ: من أَحَبَّ المالَ والشَّرف وخافَ الدوائِرَ لم يعدلْ فيها.

وفي صحيح البخاريّ عن أبي هريرة، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قالَ: (إنكم سَتحرصونَ عَلَى الإمارة، وستكونُ ندامةً يوم القيامةِ، فنعم المرضعةُ، وبئستِ الفاطمة).

وفيه –أيضاً– عن أبي موسى الأشعريّ (أنَّ رجلين قالا للنبي – صلى الله عليه وسلم –: يا رسول الله، أَمِّرنا. قال: إنَّا لاَ نولِي أَمرَنَا هذا من سأَلَه، ولا من حرصَ عليه).

واعلمْ أَنَّ الحرصَ عَلَى الشَّرفِ يستلزمُ شرًّا عظيمًا قبلَ وقوعه في السَّعي في أسبابِه، وبعد وقوعِه بالخطر العظيم الَّذِي يقع فيه صاحبُ الولاية من الظلمِ والتكبرِ وغير ذلك من المفَاسِدِ.

وقد صنَّفَ أبو بكر الآجري –وكان من العُلَمَاء الربَّانيين في أَوائلِ المائةِ الرابعة– مصنفًا في "أخلاق العُلَمَاء وآدابِهِم" وهو من أجلِّ ما صُنِّف في ذلك، ومن تأمَّله علمَ منه طريقة السَّلفِ من العُلَمَاء، والطرائقَ التي حَدَثَتْ بعدهم المخالفةَ لطريقتهم، فوصفَ فيه عالم السوء بأوصافٍ طويلة.

منها: أنّه قال: قد فتنه حبُّ الثناءِ والشَّرفِ والمنزلةِ عند أهل الدُّنْيَا، يتجملُ بالعلم كما يتجمل بالحلةِ الحسناء للدنيا، ولا يجمِّل علمه بالعمل به.

وذكر كلامًا طويلاً إِلَى أن قال: فهذه الأخلاقُ وما يشبهُها تغلبُ عَلَى قلب من لم ينتفعْ بالعلم، فبينا هو مُقاربٌ لهذه الأخلاقِ إذ رَغبتْ نفسُه في حبِّ الشَّرفِ والمنزلةِ، فأحبَّ مجالسةَ الملوكِ وأبناءِ الدُّنْيَا، فأحب أن يشاركهم فيما هُم فيهِ من منظرٍ بَهِيٍّ، ومَركبٍ هَنِيٍّ، وخادم سَرِيٍّ، ولباسٍ ليِّنٍ، وفِراشٍ ناعمٍ، وطعام شَهِيٍّ، وأَحبَّ أَن يُعتنى به، وأن يسمع قَولُه، ويُطَاعَ أَمرُه، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ إلا مِن جهةِ القَضاءِ فَطلبَهُ، فَلم يُمكِنْهُ إلا ببذلِ دِينِهِ، فَتَذَلَّلَ لِلمُلُوكِ وأتباعِهِم، فَخدمَهُم بِنَفْسِهِ، وأَكرَمَهُم بِمَالِهِ، وسَكتَ عَن قَبيحِ مَا ظَهَرَ من منازل أبوابهم، وفي منازلهم وفعلهم، ثم زيَّنَ لَهم كثيرًا من قَبيحٍ فِعلهم بتأوُّلِهِ الخطأ ليحسن موقعه عندهم، فَلمَّا فعلَ هذه مُدةً طوِيلةً واسْتحكَمَ فيه الفسادُ وَلُّوْهُ القضاءَ فذبح بغيرِ سِكينٍ، فصارتْ لَهُم عليهِ مِنَّةٌ عَظِيمةٌ، ووجبَ عليه شُكرُهم، فآلَمَ نفسه لئلاَّ يُغضِبهُم عليه فَيعزِلوهُ عن القضاءِ، ولم يلتفتْ إِلَى غَضبِ مَولاهُ، فاقْتطعَ أموالَ اليتامَى والأَراملِ، والفُقراءِ والمساكين، وأموالَ الوَقفِ الموقوفة عَلَى المجاهدينَ، وأهلِ الشَّرفِ بالحرمينِ، وأموالاً يعودُ نفعُها عَلَى جميعِ المسلمين، فأرضى بها الكاتبَ والحاجب والخادمَ، فأكلَ الحرامَ وأطعمَ الحرامَ وكَثُرَ الداعي عليهِ، فالويلُ لمن أورثَه علمُه هذهِ الأخلاقَ.

هذا العِلْم الَّذِي استعاذَ منه النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– وأمر أن يُستعاذَ منه، وهذا العالِمْ الَّذِي قالَ فيهِ –عليه الصلاة والسلام–: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ، عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ».

وكان –صلى الله عليه وسلم– يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ).

وكان عليه السلام يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ».

هذا كُلُّهُ كَلامُ الإمام أبي بَكرٍ الآجُري رحمه الله تعالى وكان في أَواخِرِ الثلاثِمائة، ولم يَزَلِ الفسادُ مُتَزَايِدًا عَلَى ما ذَكرناه أضعافًا مُضَاعَفَةً، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله."

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فيقول المصنف رحمه الله تعالى في الصنف الثاني من المهلكات والمفسدات لدين المرء الواردة في الحديث، تقدم الكلام في الأولى وهي حب المال، والمسألة الثانية حب الشرف، وهو أعظم، لأن حب المال أمره محسوس والفائدة منه ظاهره ومتعلقة بالجوارح في الغالب، لكن حب الشرف علاقته بالقلب وفساده للقلب وإفساده أظهر، فقال رحمه الله تعالى: "**وأما حرص المرء على الشرف، فهذا أشد هلاكًا من الحرص على المال**" يجوز أخذ المال على تعليم القرآن وعلى تعليم العلم، لكن هل يجوز تعليم القرآن أو تعليم العلم ليقال عالم؟ هذا الشرف، هذا حب الشرف، ففي بعض صور حب المال أو في كثير منها ما يجوز لكن حب الشرف العمل القلبي الذي يزاحم الإخلاص أمره أعظم وأشد، فيقول المؤلف: "**فهذا أشد هلاكًا من الحرص على المال، فإنّ طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال، وضرره أعظم**" ذكرنا أن هذا علاقته بالجوارح ونفعه ظاهر والحاجة إليه أشد عن المال، لكن حب الشرف! وذكرنا أن من أخذ الأجرة على تعليم القران (إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله) لكن من علم الناس تعلم وعلم ليقال، فهذا أحد الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار نسأل الله العافية.

"**أضر عَلَى العبد من طلب المال، وضررُه أعظمُ، والزهدُ فيه أصعبُ، فإنَّ المال يبذلُ في طلبِ الرياسةِ والشَّرفِ**" قلنا في درس الأمس يوجد من الناس مَن المال عنده أولى عنده وأهم وأعظم من كل شيء، يذل

نفسه من أجل المال، ومن الناس من يبذل الأموال الطائلة من أجل أن يمدح ويثنى عليه، فهذا لون وذاك لون، ومن أهل الدنيا من فتن بهذا ومنهم من فتن بهذا.

سؤال: ...

الشيخ: يطلب المال بالرئاسة نعم، بعض الناس يبذل ما يملك ليرأس، ليحصل على المال، لأنه إذا تولى وصارت بيده الأموال والخزائن والولايات في الجملة فيها تيسير لحصول المال، ولذلك لما دخل عبدالله بن عمر على عبدالله بن عامر يزوره وقال له عظني، قال: لا يقبل الله صلاةً بغير طهور ولا صدقةً من غُلول وكنت على البصرة، يعني كنت أمير على البصرة وهذا مظنة أنك بيت المال بين يديه ولا حسيب ولا رقيب، فبينهما تلازم في الغالب، بينهما تلازم لكن قد ينفك هذا فتجد مَن المدح لا يساوي عنده شيئًا لكن يهمه المال، وتجد العكس، المال يبذله من أجل كلمة تقال فيه، والله المستعان.

"والحرصُ عَلَى الشَّرفِ عَلَى قسمين:

أحدهما: طلبُ الشَّرفِ بالولايةِ والسُّلطانِ والمال.

وهذا خطرٌ جدًّا، وهو الغالبِ، يمنعُ خيرَ الآخرةِ وشَرَفَها وكرامَتها وعزَّها.

قال الله تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا والعاقبة للمتقين}.

وقلَّ مَنْ يحرصُ عَلَى رياسةِ الدُّنْيَا بطلبِ الولاياتِ فيوفق؛ بل يُوكلُ إِلَى نفسهِ، كما قال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- لعبد الرحمنِ بن سمرةَ: (يا عبدَ الرحمنِ بن سمرة، لا تسألِ الإمارةَ، فإِنَّكَ إِن أُعْطيتَهَا عن مَسألةٍ وُكّلتَ إليها، وإنْ أُعْطيتَهَا من غير مسألةٍ أُعنتَ عليها)."

هذا مجرد السؤال، يأتي لولي الأمر ويطلب الإمارة ويقول ولني على الجهة الفلانية، لكن أشد ضررًا من هذا من يقدم القرابين في دينه ويتنازل عن شيء من دينه وعلمه ليُولى، وأنتم تسمعون بعض القرابين التي يقدمها

بعض خطاب الدنيا وعشاقها، تجدهم في الفتاوى يتنازلون ويتساهلون ويرضون فلان وعلان من أجل ماذا؟ أن يعطى شيء من الولاية أو الإمارة، والله المستعان.

"**قال بعض السلف: ما حرص أحد على ولاية فعدل فيها.**" ما يوفق، ما يوفق لإبراء ذمته منها، لكن الذي يطلب للولاية ويقبلها لأنها تعينت عليه ويرى أن نفعه فيها ظاهر وهو أولى من غيره فيها من غير تزكية لنفسه فهذا يعان عليها.

"**وكان يزيدُ بنُ عبد الله بن موهبٍ من قضاةِ العدلِ والصَّالحين، وكان يقولُ: من أَحَبَّ المالَ والشَّرف وخافَ الدوائِرَ لم يعدلْ فيها.**" وشلون لم يعدل فيها؟ خاف الدوائر أن تدور عليه فيُعزل عن منصبه، ما فيه توجيه إلا مثل هذا، لم يعدل فيها، يصير شحيح بهذه الولاية.

"**وفي صحيح البخاريّ عن أبي هريرة، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قالَ: (إنكم سَتحرصونَ عَلَى الإمارة، وستكونُ ندامةً يوم القيامةِ**" يعني المسؤولية ليست سهلة (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مسؤولونَ} مسؤول عن نفسك أولاً، مسؤول عمن تحت يدك من زوجتك وأولادك، مسؤول عمن ولاك الله عليهم كبرت هذه المسؤولية أو صغرت، فعلى الإنسان أن يتخفف منها بقدر المستطاع، والله المستعان.

"**(إنكم سَتحرصونَ عَلَى الإمارة، وستكونُ ندامةً يوم القيامةِ، فنعم المرضعةُ**" دام الإنسان يكسب ويجني ويمدح ويثنى عليه هو مبسوط "**وبئستِ الفاطمة).**" لكن النتيجة؟ النتيجة ندامة.

"**وفيه –أيضاً– عن أبي موسى الأشعريّ (أنَّ رجلين قالا**" هما جاءا مع أبي موسى، هذان الرجلان من رهط أبي موسى من الأشعريين ودخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي موسى، وأبو موسى لا يدري ماذا يريدون، ما عرف أنهم سيسألون ولايات "**(أنَّ رجلين قالا للنبي – صلى الله عليه وسلم –: يا رسول الله، أَمِّرنا. قال: إنَّا لاَ نولِي أَمرَنَا هذا من سأَلَه، ولا من حرصَ عليه).**"

قال: "**واعلمْ أَنَّ الحرصَ عَلَى الشَّرفِ بطلب الولايات يستلزمُ شرًّا عظيمًا**" وفي نسخة: حرصًا عظيمًا، وفي نسخة: ضررًا عظيمًا "**قبلَ وقوعه في السَّعي في أسبابِه، وبعد وقوعِه بالخطر العظيم الَّذِي يقع فيه صاحبُ الولاية من الظلمِ والتكبرِ وغير ذلك من المَفَاسِدِ.**" قبل بذل الأسباب ثم أثناء بذل الأسباب

للحصول على الولاية وفي بدايات الحصول عليها وفي نهاياتها، فهي خطر عظيم كما ذكر المؤلف وغيره من أهل العلم.

سؤال: ...

الشيخ: هو أولاً يوسف عليه السلام {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ} لا شك أن من وجد في زمن لا يوجد من يصلح لهذه الولاية إلا هو أنه يتعين عليه مع غلبة ظنه أنه يعدل فيه ويقسط ولا يتعرض لفتن ولا غير ذلك.

قال: "**وقد صنَّفَ أبو بكر الآجري**" كتابًا في أخلاق العلماء، وهو مطبوع متداول وفيه فوائد يجدر بطالب العلم أن يرجع إليه وأن يقرأه أكثر من مرة، وفيه أمثلة ذكرها لأنواع الناس وأقسام من يتصدون لطلب العلم ولأنواع منها وأصناف من العلماء، ولحاجة الأمة الماسة إلى أهل العلم، لكن المراد بهم الربانيون.

"**وقد صنَّفَ أبو بكر الآجري وكان من العُلَمَاء الربَّانيين في أَوائلِ المائةِ الرابعة**" في أواخر الثالثة وأوائل الرابعة، وهو من الآخذين عن أبي داود وغيره "**مصنفًا في أخلاق العُلَمَاء وآدابِهِم وهو من أجلِّ ما صُنِّف في ذلك**" والمصنفات في هذا الباب كثيرة هذا من أجلها، ومن أنفعها وأنفسها ما كتبه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، وأيضًا الخطيب البغدادي الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، وكتب كثيرة في هذا الباب.

"**ومن تأمَّله علمَ منه طريقة السَّلفِ من العُلَمَاء، والطرائقَ التي حَدَثَتْ بعدهم المخالفةَ لطريقتهم، فوصفَ فيه عالِمَ السوء بأوصافٍ طويلة.**" يعني التغير في القلوب بين طلاب العلم وأهل العلم قبل وجود هذه الدراسات النظامية والشهادات العالية أمر ظاهر، نحن أدركنا شيوخًا من العلماء الراسخين لا يرضى أن يقال له الشيخ فلان! ثم صار كلمة الشيخ وفضيلة الشيخ وفضيلة الدكتور هذه أمور لو ما تقال بعضهم يزعل، ووصل الحد نسأل الله السلامة والعافية بشخص صغير السن حدث حديث التخرج في الجامعة وطُلب لإلقاء درس أو محاضرة فقُدم له، جاي واحد يقدم له على اليمين والي يقدم على اليسار، وكان مع هذا الشاب ورقة فيها سيرته الذاتية ومن تحت الماصة قدمها لهذا المقدم، من أجل ماذا؟ أن يقرأها على الناس! وليت الأمر انتهى على هذا، لما انتهى قال: هداك الله قطعت عنق صاحبك أنا لا أرضى بمثل هذا،

وين، نسأل الله العافية، يعني أي فساد في القلب أعظم من هذا؟ يعني يصل الأمر إلى هذا الحد؟ هو استدراج يتساهل الإنسان في أول الأمر ويسمع المدح والثناء، ما كنا نسمع المدح والثناء من شيوخنا ولا عليهم، ثم بعد ذلك لو ما يمدح الإنسان ضاق صدره، يقول ابن القيم رحمه الله في الفوائد: "إذا حدثتك نفسك بالإخلاص فاعمد إلى حب المدح والثناء فأذبحه بسكين علمك ويقينك أنه لا أحد ينفع مدحه ولا يضر ذمه إلا الله" لأن القلوب القلوب تغيرت، الآن لو في مجلس يقال لشخص أن الملك أو الأمير الفلاني ذكرك البارحة وأثنى عليك، احتمال ما يجيه النوم ذيك الليلة، لكن هل يحسب حساب لقول الله جل وعلا في الحديث القدسي: (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)؟ والله المستعان.

"ومن تأمَّله علمَ منه طريقة السَّلفِ من العُلَمَاء، والطرائقَ التي حَدَثَتْ بعدهم المخالفةَ لطريقتهم، فوصفَ فيه عالمِ السوء بأوصافٍ طويلة. منها: أنّه قال: قد فتنه حبُّ الثناءِ والشَّرفِ والمنزلةِ عند أهل الدُّنْيَا، يتجملُ بالعلم كما يتجمل بالحلةِ الحسناء للدنيا، ولا يجمِّل علمه بالعمل به."

سؤال: ...

الشيخ: هو الكلام على هذا العالم الذي يتجمل بالعلم كما يتجمل بالحلة الحسناء يعني من النساء، هذا الشخص من الرجال مب يتجمل به ويطلع أمام الناس؟ ليس ضروري أن تكون امرأة هو نفسه يتجمل.

"وذكر كلامًا طويلاً إِلَى أن قال: فهذه الأخلاقُ وما يشبهُها تغلبُ عَلَى قلب من لم يتضمخ بالعلم" يعني يتصف ويُغرق ويستغرق في العلم، وفي نسخة: ينتفع **"فبينا هو مُقاربٌ لهذه الأخلاقِ إذ رَغبتْ نفسُه في حبِّ الشَّرفِ والمنزلةِ، فأحبَّ مجالسةَ الملوكِ وأبناءِ الدُّنْيَا، فأحب أن يشاركهم فيما هُم فيهِ"** {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} يعني الذي ينظر إلى من فوقه فهذا سوف يزدري نعمة الله عليه وسوف يسعى في بذل الأسباب التي توصله إلى ذلك سواءً كانت من وجوه مباحة أو محرمة، لكن من العصمة ألا ترى ولا تنظر إلى هذه الأمور.

"فأحبَّ مجالسةَ الملوكِ وأبناءِ الدُّنْيَا، فأحب أن يشاركهم فيما هُم فيهِ من منظرٍ بَهِيّ، ومَركبٍ هَنِيٍّ، وخادم سَرِيٍّ، ولباسٍ ليّنٍ، وفِراشٍ ناعمٍ، وطعام شَهِيٍّ" كلها موجودة عندهم، لكن كيف تصل إلى هذه الأمور؟ كونك لا تعرفها ولم ترها هذه عصمة لك بلا شك، لكن إذا رأيتها واشرأبت نفسك إليها وطمعت

في مثلها، لابد أن تبذل الأسباب ومن الأسباب أن تتنازل عن شيء من دينك وتهين نفسك **"وأَحبَّ أَن يُعتنى به"** ويحتفى به، الآن الزيارات حتى فيما بين آحاد الناس أو بين بعض من ينتسب إلى العلم، هي ظاهرها وإذا سئل عنها أنها زيارات في الله يرجى ثوابها، لكن هل يستوي عند الشخص الزائر الدافع عنده لو أُحتفي به أو أهمل؟ يعني ذهب لزيارة شخص نظير له أو فوقه أو دونه فأحتفى به ورحب به وأكرمه أو العكس أهمله.

سؤال: ...

الشيخ: نعم لا يستويان لكن إذا كانت الزيارة لله قاصد لله وليس لإكرام نفسك، المفترض أنه لا يختلف الوضع.

"وأن يُسمع قَولُه، ويُطَاعَ أَمرُه، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ إلا مِن جهةِ القَضاءِ فَطلبَهُ" في السابق ما فيه ولاية فيها سلطة على الناس إلا إمارة وهي في الغالب أقل شأنًا من القضاء، لأن الإمارة تصرف أو تعطى من عنده علم ومن لا علم عنده كما هو معلوم، لكن القضاء لا يصرف إلا لعالم فتكون له الولاية من جهتين، ولا شك أن هذا أشد **"إلا مِن جهةِ القَضاءِ فَطلبَهُ، فلم يُمكنْهُ إلا ببذلِ دِينِهِ، فَتَذَلَّلَ لِلمُلُوكِ وأتباعِهِم، فَخدمَهُم بِنَفْسِهِ، وأَكرَمَهُم بِمَالِهِ، وسَكتَ عَن قَبيحِ مَا ظَهَرَ له"** تجي المجاملات، ولا شك أن أهل العلم الراسخون لا يتأثرون بمثل هذا، يسأل صاحب ولاية شخص من أهل العلم فيرد عليه بما يدين الله به ولا يتأثر بكونه ولاية أو غير ولاية، ويسأل آخر ممن اشرأبت نفسه إلى ولاية أو وظيفة فيلتمس له الأعذار والرخص هذا موجود وهذا موجود **"وسَكتَ عَن قَبيحِ مَا ظَهَرَ له من الدخول في إيواناتهم، وفي منازلهم من أفعالهم، ثم زيَّنَ لَهم كثيرًا من قَبيحِ فِعلهم"** يتأول لهم، يتأول لهم الأخطاء ويبحث عن شواذ الفتاوى من أجل أن يبرر لهم ما يفعلونه **"بتأوُّلِهِ الخطأ ليحسن موقعه عندهم، فَلمَّا فعلَ هذه مُدةً طوِيلةً واسْتحكَمَ فيه الفسادُ"** لأن القلب في بداية الأمر يمكن علاجه، لكن إذا استشرى المرض استعصى العلاج **"واسْتحكَمَ فيه الفسادُ وَلَّوْهُ القضاءَ فذبح بغيرِ سِكينٍ"** لا شك أن في القضاة على مر التاريخ منهم أهل عدل وإنصاف وتحري للحق وصدع به، هذا موجود والخير في الأمة إلى قيام الساعة لكن علماء الدنيا وطلاب الدنيا موجودين، يعني من بعد القرون المفضلة بدأوا يزيدون ويكثرون **"فصارتْ لَهُم عليه مِنَّةٌ عَظِيمةٌ، ووجبَ عليه شُكرُهم، فآلمَ نفسه"** آلم نفسه بالتذلل والخضوع والخنوع **"فآلمَ نفسه لئلاَّ يُغضِبهُم**

عليه فَيعزِلوهُ عن القضاءِ" والآن الولايات أكثر من القضاء بعضها أعظم خطرًا من القضاء، هذا موجود، في السابق ما فيه إلا القضاء، لكن الآن فيه ولايات كثيرة جدًا فيها عدل وفيها ظلم وفيها حب رئاسة وتسلط "**ولم يلتفتْ إِلَى غَضبِ مَولاهُ، فاقْتطعَ أموالَ اليتامَى والأَراملِ، والفُقراءِ والمساكين، وأموالَ الوَقفِ الموقوفة عَلَى المجاهدينَ**" النووي رحمة الله عليه ما تولى ولاية، وكان لا يأكل من ثمار كثير من المزارع أو عزف عن الفواكه والخضار والكماليات كلها عزف عنها رحمه الله، والسبب في ذلك أن لا يكون في هذه الخضار والفواكه شيء من مزارع موقوفة على مساكين وأرامل وأيتام ويحصل فيها ظلم لهم، نعم هذا يعني ورع زائد بالنسبة للنووي وحمل نفسه على شدة ما يطلب هذا من كل أحد، لكن هذا مثال، هذا مثال أقل الأحوال أن يردع بعض الاسترسال الحاصل من بعض الناس، لأن مثل هذه الأمور يعالج بها التوسع الموجود عند بعض الناس، والضيق عند النووي لما يخاطب هو يخاطب بنصوص تدل على شيء من السعة، ونصوص الكتاب والسنة علاج، يعني لما تجد شخص مشدد متشدد على نفسه تجيب نصوص الوعد وسعة رحمه الله، وفي المقابل إذا وجدت مفرط، يعني عندك في المثال العملي إذا نوقش الإحرام من الميقات، فجاء شخص يتساهل فيه يقول ما يحتاج تحرم من الميقات، وعندنا قولان متقابلان، سعيد بن المسيب يقول: من تجاوز الميقات بلا إحرام فلا شيء عليه، وسعيد بن جبير: من تجاوز الميقات فلا حج له، هذا المتساهل في فتواه ما الذي تذكره له أي الفتويين؟ سعيد بن جبير، عشان يتعدل شوي، وفي المقابل لو وجدنا مشدد في هذه المسألة أن الأمر ترى المسألة ليست... لو قال أن الإحرام من الميقات ركن.

سؤال: ...

الشيخ: في القاتل؟ نعم يقال له ليس له توبة، لأنه مبيت للقتل فيردع بمثل هذا.

"**وأموالَ الوَقفِ الموقوفة عَلَى المجاهدينَ، وأهلِ الشَّرفِ بالحرمينِ، وأموالاً يعودُ نفعُها عَلَى جميعِ المسلمين، فأرضى بها الكاتبَ**" على جميع المسلمين أموال بيت المال، بعض الناس يتسامح فيها، وحرمتها ثابتة، نعم يختلف أهل العلم في القطع بالسرقة من بيت المال لكن يبقى أنها محرمة ومصانة لأنها لعموم المسلمين والتحلل منها يصعب، وبعض من يقترض من بيت المال يقول هذا نصيبي من بيت المال لن أسدد، فعله لا شك في تحريمه وأنه يلزمه أن يسدد ما التزم به.

يقول رحمه الله: "**فأرضى بها**" أي بهذه الأموال التي اقتطعها من أموال اليتامى والمساكين ومن عُطف عليهم "**فأرضى بها الكاتبَ والحاجب والخادمَ**" لماذا؟ لأنهم هم الذين يرسلونه إلى صاحب القرار "**فأكلَ الحرامَ وأطعمَ الحرامَ وكَثُرَ الداعي عليهِ**" يعني من المظلومين الذين أخذ أموالهم بغير حق "**فالويلُ لمن أورثَه علمُه هذهِ الأخلاقَ.**"

"**وهذا العِلْم هو الَّذِي استعاذَ منه النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– وأمر أن يُستعاذَ منه، وهذا العالِمْ الَّذِي قالَ فيهِ –عليه الصلاة والسلام–: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيامَةِ، عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ».**" وهذا الحديث كما ذكر المخرج أنه نقلاً عن الحافظ العراقي أنه ضعيف، ورد في الباب أحاديث كثيرة ولو لم يكن في الباب إلا الذكر الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار، نسأل الله العافية.

"**وكان –صلى الله عليه وسلم– يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ).**" وهذا الحديث عند مسلم وغيره.

"**وكان عليه السلام يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ».**" وهذا مخرّج عند النسائي وغيره هذا.

هذا كُلُّهُ كَلامُ الإمامِ أبي بَكرٍ الآجُري رحمه الله تعالى، وكان في أَواخِرِ الثلاثِمائة" هناك قال في أوائل المائة الرابعة، وهنا في أواخر المائة الثالثة، ومن وجد في آخر الثالثة فهو يمتد عمره إلى أن يبلغ أو يصل إلى الرابعة "**ولم يَزَلِ الفسادُ مُتَزَايِدًا عَلَى ما ذَكرناه أضعافًا مُضاعَفَةً، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.**" ولي الله الدهلوي له كتاب في علوم القران في أصول التفسير اسمه: الأكسير، تعرض لبعض الأوصاف الواردة في المنافقين في سورة التوبة، يقول: والأمثلة لا تصعب عليك، انظر مجالس الكبراء ومن يرتادها من بعض من ينتسب إلى العلم وتجد الأمثلة.

سؤال: ...

الشيخ: فقد ذبح بغير السكين؟ ما خرجت الحديث؟ ذبح بغير سكين، لا شك أن القضاة كما جاء في الخبر ثلاثة: قاضيان في النار وقاضي في الجنة، أما كونهم كلهم يذبحون بغير سكين هذا غير صحيح،

القاضيان في النار هذا صحيح، من قضى بين الناس بجهل أو عرف الحق وعدل عنه هذا لا شك أنه على خطر، وأما من عرف الحق وحكم به فهذا هو الناجي.

سؤال: ...

الشيخ: كونه يخطئ لا يوجد معصوم، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (إنما أنا بشر أقضي على نحو ما أسمع) لكن إذا استعمل الوسائل الشرعية وخرجت النتائج بعد استكمال واستفراغ الوسع في استعمال الوسائل الشرعية والنتيجة خرجت غير مطابقة للواقع هذا معذور، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما اقتطع له قطعة من نار فليأخذها أو ليدعها).

المتن:

"ومن دَقِيقِ آفاتِ حُبِّ الشَّرفِ: طَلَبُ الولاياتِ والحرصُ عليها، وهو بابٌ غامضٌ لا يعرفُه إلا العُلَمَاءُ باللهِ، العَارِفُونَ بِهِ المُحِبُّونَ لَهُ، الذين يُعادون لهُ من جُهَّالِ خلقهِ المُزَاحمينَ لِرُبُوبيتِهِ وإلهيتهِ، مع حقارتهم وسُقوطِ منزلتهِم عند الله، وعندَ خَواصِّ عبادِهِ العارفين بِهِ.

كما قال الحسنُ –رحمه الله– فيهم: إِنَّهُمْ وَإِن طقطَقَتْ بهم البغالُ وهملجَت بهمُ البرَاذِينُ فَإِنَّ ذُلِّ المعصيةِ فِي رِقَابِهم، أبى الله إلا أن يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ.

واعلَمْ أَنَّ حُبَّ الشَّرفِ بالحِرصِ عَلَى نُفوذِ الأمرِ والنهي وتَدبيرِ أَمرِ الناسِ، إذا قصدَ بذلك مُجَرَّدَ عُلوّ المنزلة عَلَى الخلقِ والتَّعاظم عليهم، وإظهارِ صاحب هذا الشَّرفِ حاجةَ الناس إِلَيْهِ وافتقارهم إِلَيْهِ، وذُلّهم له في طلبِ حوائجِهم منه، فهذا نفسُه مُزاحمةٌ لرُبوبية الله تعالى وإلهيتِهِ، وربما تسبب بعضُ هؤلاءِ إِلَى إيقاع الناس في أمر يحتاجُون فيه إِلَيْهِ؛ ليضطرِّهم بذلك إِلَى رفع حاجاتهم إِلَيْهِ، وظهورِ افتقارهم واحتياجهم إِلَيْهِ، ويتعاظم بذلك ويتكبَّرُ بِهِ، وهذا لا يَصلحُ إلا لله تعالى وحده لا شريكَ له.

كما قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}.

وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ}.

وفي بعض الآثارِ أنَّ الله تعالى يبتلي عبدهُ بالبلاءِ ليسمعَ تضرعهُ.

وفي "الصحيح" عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم– قال: "يَقُولُ الله تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا عَذَّبْتُهُ".

كان بعضُ المتقدمينَ قاضيًا، فرأى في منامهِ كأنَّ قائلًا يقول: أَنتَ قاضٍ، واللَّهُ قاضٍ. فاستيقظَ مُنزعجًا، وخرجَ عن القضاءِ وتركَهُ.

وكان طائفةٌ مِن القضاةِ الورعين يمنعونَ الناسَ أن يدعوهم بـ "قاضي القُضَاة"، فإن هذا الاسمَ يُشبهُ مَلِكَ الملوكِ الَّذي ذمَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– التسميةَ به.

وقال: "لَا مَالِكَ إِلاَّ الله".

و"حاكمُ الحُكَّامِ" مِثلُه، أو أَشدُّ منه.

ومن هذا البابِ أيضًا أن يُحبُّ ذُو الشَّرفِ والولايةِ أَن يُحْمَدَ عَلَى أفعالهِ ويُثْنَى عليهِ بها، ويطلبُ من الناسِ ذلك، ويَتَسَبَّبُ في أَذى من لا يُجيبُه إليهِ، ورُبما كانَ ذلكَ الفعلُ إِلَى الذمّ أقربَ منهُ إِلَى المدحِ، وربما أظهرَ أمرًا حسنًا في الظاهرِ، وأحبَّ المدحَ عليه وقصدَ بهِ في الباطنِ شرًّا، وفَرِحَ بتمْويهِ ذلكَ وترويجه عَلَى الخلقِ.

وهذا يدخلُ في قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ} الآية.

فإنَّ هذه الآيةَ إنما نزلتْ فيمن هذه صفاتُهُ، وهذا الوصفُ –أَعني طلبَ المدحِ مِنَ الخلقِ ومحبَّتَهُ والعقوبةَ عَلَى تركهِ– لا يصلحُ إِلَّا لله وحدهُ لا شريكَ لهُ، ومن هنا كان أئمةُ الهدى ينهونَ عن حمدهِم عَلَى أعمالهم وما يصدُرُ منهم من الإحسانِ إِلَى الخلقِ، ويأمرونَ بإِضافةِ الحمدِ عَلَى ذلك إِلَى اللَّه وحدهُ لا شريكَ لهُ، فإن النِّعم كلَّها منهُ.

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز –رحمه الله– شديد العنايةِ بذلكَ، وكتبَ مرةً إِلَى أهلِ الموسمِ كتابًا يُقرأُ عليهم، وفيه الأمرُ بالإحسانِ إليهم، وإزالةُ المظالمِ التي كانت عليهم، وفي الكتاب: "ولا تحمدُوا عَلَى ذلك كُلِّهِ إِلَّا اللَّهِ، فَإِنّهُ لَوْ وَكَلَني إِلَى نفسِي كنتُ كغيري".

وحكايتُه مع المرأةِ التي طلبتْ منه أن يفرضَ لِبناتِها اليتامى مشهورةٌ، فإنها كانت لها أربعُ بناتٍ، ففرض لاثنتينِ منهنَّ، وهي تحمدُ اللَّه، ثُم فرضَ للثالثةِ فَشَكرتْهُ، فقالَ: إنمَا كنَّا نفرضُ لهنَّ حيثُ كنتِ تولينَ الحمدَ أهلَهُ، فمري هؤلاء الثلاثَ يُواسينَ الرابعة. أو كما قال رضي الله عنه.

وحاصل الأمر أراد أن يعرف أنَّ ذا الولايةِ إنما هو مُنتصِبٌ لتنفيذ أمرِ اللَّه، وآمرُ العبادَ بطاعة الله تعالى، وناهٍ لهم عن محارم الله، ناصحٌ لعبادِ الله بدُعائهم إِلَى الله، فهو يقصد أن يكون الدينُ كُلُّه لله، وأن تكونَ العِزَّةُ لله وهو مع ذلك خائفٌ من التقصيرِ في حقوقِ الله أيضًا."

******

الدرس الخامس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى: "**ومن دَقِيقِ آفاتِ حُبِّ الشَّرفِ: طَلَبُ الولاياتِ والحرصُ عليها**"

أولاً: تنبيه على أن مجرد حصول المال من غير حب شديد له وإلا فالأصل أن حب ما حُبب في الدنيا أمر جبلي، الإنسان مجبول في نفسه أن يحب السعة والرخاء وهناءة العيش وحصول شي يغنيه عن غيره، لكن الكلام في الحب الشديد الذي يشغله عما هو أهم منه، حصول الشرف للمسلم من غير حب شديد بحيث يشغله حبه عما خلق من أجله، من أشرف الخلق؟ الرسول عليه الصلاة والسلام هو أشرف الخلق لكن ما شغله ولا أحب الشرف ولا بذل فيه وقته، لكن الأسباب موجودة فيه عليه الصلاة والسلام فحصل له هذا الشرف، من غير لهث ورائه ومن غير بذل أسباب بحيث ينشغل به عن غيره، فضلاً عن أن يبذل شيئًا من دينه من أجله، المال إذا جاء من بيت المال من غير طلب ولا استشراف جاء الأمر بقبوله، وكان عمر رضي الله عنه يضرب من يأباه ويرده، فإذا كان من غير طلب ولا استشراف خذه تمول ما لم يكن ثمنًا لدينك فلا، فإذا كان المال ثمنًا للدين أو الشرف كان ثمنًا للدين فلا.

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: "**ومن دَقِيقِ آفاتِ حُبِّ الشَّرفِ: طَلَبُ الولاياتِ والحرصُ عليها**" الشرف عرفنا أنه يراد به: الجاه والمنزلة بين الناس، بحيث يتصدر في المجالس ويطاع إذا أمر ويُسمع إذا تكلم، "**وهو باب غامض**" يعني دقيق خفي "**لا يعرفه إلا العلماء**" العلماء الربانيون، وإلا ممن ينتسب للعلم من وقع في مثل هذا "**إلا العُلَمَاءُ بالله، العَارِفُونَ بِهِ المُحِبُّونَ لَهُ، الذين يُعادَون لهُ من جُهَّالِ خلقهِ**" يعني من أجله، والمعاداة مفاعلة، إذا حصلت من طرف حصلت من الطرف آخر، "**من جُهَّالِ خلقهِ المُزَاحمينَ لِرُبُوبيتهِ وإلهيتهِ، مع حقارتهم وسُقطِ منزلتهِم عند الله، وعندَ خَواصِّ عبادِهِ العارفين بهِ. كما قال الحسنُ**" يعني هؤلاء أصحاب الجاه وأنتم ترون منهم نماذج وأمثلة كثيرة من أهل المال وأهل الشرف، الناس يمشون ورائهم ويقدرونهم ويقضون حوائجهم، يوسعون لهم المجالس ويضيفون عليهم الألقاب، مع أن بعضهم لا يستفاد منه

شيء، يكون ثريًا ولا ينفع، يكون صاحب جاه ولا ينفع بجاهه، لكن نفوس أهل الدنيا جبلت على هذا وإلا في حقيقتهم عند من يعرف حقائق الأمور مثل ما قال الحسن، قال: الحسن رحمه الله في مثل هؤلاء: "**إنَّهُمْ وَإِن طقطَقَتْ بهم البغالُ**" صوت الحوافر "**وهملجَت بهمُ البرَاذِينُ فَإِنَّ ذُلِّ المعصيةِ فِي رِقَابه**" يعني لا يفارقه "**أبى الله إلا أن يُذلَّ مَنْ عَصَاهُ.**" مهما ظهر أمام الناس بماله وجاهه فَإِنَّ ذُلِّ المعصيةِ لا يفارقهم، أبى الله إلا أن يُذلَّ مَنْ عَصَاه، وهؤلاء هم في ظاهر الأمر فيما يظهر لعوام الناس أنهم في سعادة، والأمثلة على كونهم في شقاء لا يعلمه إلا الله كثيرة جدًا، سواء من أرباب الأموال أو أصحاب الجاه، والمقصود إذا لم يُستعمل هذا المال في طاعة الله أو ما يرضي الله وذلك الجاه في نفع الناس وخدمة المسلمين فإن هذا يكون وبالاً على صاحبه.

"**وحب الشرف بالحرص على نفوذ الأمر والنهي**" بعض الناس يحب أن يأمر فيطاع وينهى فيُوقف عند أمره ونهيه، تجد ولايته لا شيء، ليست بشيء، لو يولى طالب عريف على فصل انتفخ فضلاً عن كونه مدير أو مشرف أو شيء ثاني، عاد حدث ولا حرج في الصعود، هذا وهو يعيش بين صبيان، فكيف إذا كان يأمر وينهى الكبار والأعيان والوجهاء وبعض العلماء، كيف يكون وضعه إذا لم يكن متعلقاً بربه عارفاً به؟ "**وحب الشرف بالحرص على نفوذ الأمر والنهي وتدبير أمر الناس إذا قصد بذلك مجرد علو المنزلةِ على الخلق، والتعاظم عليهم، وإظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناسِ وافتقارهم إليه**" إذا كان قصده أن يظهر حاجة الناس إليه، فكما سيأتي مزاحم لربوبية الله، لأن هذا وصفه جل وعلا، بعض الناس يصير عنده السلعة وليكن عنده خبز مثلاً، يمنعه مُدة، من أجل ماذا؟ أن تظهر حاجة الناس إليه ويتذللون عليه ويتزاحمون ويبذلون له الوسائط، ثم بعد ذلك يبذل، فيكون قد أحسن إليهم، وبعض التجار تجدهُ يرفع الأسعار، ثم يتذمر الناس ثم يخفضها بناءً على أنه أحسن إليهم، ليريهم الحاجة إليه، وهذا واقع في كلام المؤلف رحمه الله تعالى: "**وافتقارهم إليه وذُلهم في طلب حوائجهم منه فهذا نفسه**" يعني هذا العمل "**مزاحمة لربوبية الله وإلهيته وربما تسبب بعض هؤلاء إلى إيقاع الناس في أمر يحتاجون فيه إليه، ليضطرهم بذلك إلى رفع حاجاتهم إليه وظهور افتقارهم واحتياجهم إليه، ويتعاظم بذلك ويتكثر بذلك، وهذا لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له كما قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}**" يعني هذا فيه منافسة لله جل وعلا "**وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ}**.

وفي بعض الآثار أن الله تعالى يبتلي عبده بالبلاء ليسمع تضرعه.

وفي بعض الآثار أيضاً: أن العبد إذا دعا الله تعالى وهو يحبه قال الله تعالى: (يا جبريل لا تعجل بقضاء حاجته فإني أُحب أن أسمع تضرعه).

فهذه الأمور أصعب وأخطر من مجرد الظلم وأدهى وأمر من الشرك، والشرك أعظم الظلم عند الله تعالى." لا شك أن تصرفات الذي يحُوِج الناس إليه ليريهم حاجتهم إليه، ثم بعد ذلك يقضي هذه الحاجة فيه شبه أو تشبه بالله جل وعلا ومزاحمة لخصائص أوصافه جل وعلا "**وأدهى وأمر من الشرك، والشرك أعظم الظلم عند الله تعالى**" هذا النوع الذي يتحدث عنه المؤلف رحمه الله هو من الشرك الخفي، ومن الشرك الخفي الذي يدخل فيه الإنسان وهو لا يشعر، لأن الشرك الظاهر مدرَك ويتحاشاه الناس، المسلم يتحاشى الشرك الظاهر مالم يوجد لديه شبهة أو لبس تلبيس من بعض المبتدعة، لكن هذا الشرك الخفي واقع فيه كثير من الناس وهم لا يشعرون.

سؤال: ...

الشيخ: نعم فيها كلام لأهل العلم لكنهم يرون أن مثل هذا في باب الفضائل والترغيب والترهيب يتساهلون فيه.

سؤال: ...

الشيخ: هذا الموضوع لا يجوز الاحتجاج به أصلاً.

سؤال: ...

الشيخ: سيأتي في حديث مسلم "**في الصحيح عن النبي صل الله عليه وسلم قال :(يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة أزاري فمن نازعني فيهما عذبته)**" هذا معروف في صحيح مسلم.

"**كان بعضُ المتقدمينَ قاضيًا، فرأى في منامهِ كأنَّ قائلًا يقول: أَنتَ قاضٍ، واللَّه قاضٍ. فاستيقظَ مُنزعجًا، وخرجَ عن القضاءِ وتركهُ.**" الوصف بالقضاء وصف مشترك، للمخلوق ما يناسبه وللخالق ما

يناسبه، طيب لو أن شخصاً كريماً عرف بالكرم فرأى في منامه من يقول: أنت كريم والله كريم، ما الذي يضير في مثل هذا؟ هل يترك الكرم؟ هذه أوصاف مشتركة، لكنه أستشعر المضاهاة، هذا القاضي استشعر المضاهاة، فاستيقظ منزعجاً وخرج عن القضاء وتركه، ولو أن كل قاضي سمع مثل هذا الكلام وترك القضاء يجوز ولا ما يجوز؟ القضاء من فروض الكفايات ما يترك لمثل هذه الأمور إلا إذا غلب على الظن أنه يتضرر لاستمراره فيه أو يضر غيره، قال: "**وكان طائفة من القضاةِ الورعين يمنعون الناس أن يدعوهم بقاضي القضاة**" وهذا الوصف موجود في المذاهب الفقهية عند الشافعية وغيرهم، يسمون قاضي القضاة ويريدون بذلك رئيسهم والمقدم عليهم والذي يفصل بينهم إذا اختلفوا، لكن من منع رأى أن النوع واحد، الخلق نوع واحد في القضاء، والقاضي بينهم هو الله جل وعلا، قال: "**وكان طائفةٌ من القضاة الورعين يمنعون الناس أن يدعوهم بقاضي القضاة**" قد ترجم الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد: باب التسمي بقاضي القضاة، وقالوا مثل قول سفيان مثل: (شاه شاه) عند العجم شاه: الملك عندهم، فهو ملك الملوك عندهم، وجاء فيه قول النبي صل الله عليه وسلم: (لا مالك إلا الله) "**فإن هذا الاسم يشبه ملك الملوك الذي ذم النبي صل الله عليه وسلم التسمية به وقال: (لا مالك إلا الله).**" وهذا الحديث في الصحيح.

سؤال: هل هو على الإطلاق (لا مالك إلا الله)؟

الشيخ: مالك مُلك مطلق، الملك المطلق لله جل وعلا، وإلا الملك الخاص فأفراد الناس يملكون.

سؤال: جاء في القرآن {أو ما ملكتم مفاتحه}؟

الشيخ: المقصود أن الملك المتعارف عليه فيما يليق بالمخلوق هذا موجود، وسمي الحكام ملوك بدون تردد، هذا أمر متفق عليه، يسمون في العجم (موبذ موبذان) ما معناها؟ تعني: قاضي القضاة، هذه ترجمتها عندهم.

"**وحاكم الحكام مثله أو أشد**" حاكم الحكام، ولذا لما تكنى بعضهم بأبي الحكم، قال له: أنت أبو شريح فإن الحكم هو الله.

سؤال: ...

الشيخ: الكلام على القصد له مدخل كبير في هذا، هناك أشياء أُستحدثت استحدثها بعض المتزلفين، مثل ملك الإنسانية، ملك الإنسانية هو ملك الناس، الذي هو الله جل وعلا، الله المستعان، لكنه منع، منعت التسمية، نفس الملك منعها.

سؤال: ...

الشيخ: القذافي في آخر عمر كان يسمي نفسه ملك ملوك أفريقيا، الله المستعان، العبرة بما يصحب الإنسان في قبره وإلا الألقاب ولا أموال هذه الامور كلها زائلة (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث).

سؤال: ...

الشيخ: هو الظاهر من أسماء الله جل وعلا، على كل حال فيه أمور مشتركة ومتداولة بين الناس لا يخطر على القلب المشابهة أو المشاركة لله هذه، {قالت امرأة العزيز} والعزيز من أسماء الله.

"**ومن هذا الباب أيضًا أن يحب ذو الشرف والولاية أن يُحمد على أفعاله ويثنى عليه بها، ويطلب من الناس ذلك، ويتسبب في أذى من لا يجيبه إليه**" في أواخر سورة آل عمران: {وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ} بعض المفسرين أشار إلى أن مفهوم الآية: أن الذي يحب أن يحمد بما فعل لا يدخل في الذنب، الذي يحب أن يحمد بما فعل، والمؤلف رحمه الله قال: "**أن يحب ذو الشرف والولاية أن يحمد على أفعاله ويثنى عليه بها**" مفهوم الآية أن المدح على فعله لا يدخل في الذنب.

سؤال: ...

الشيخ: {وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} مفهوم الآية: أنه إذا أحب أن يحمد بما فعل أنه لا شيء عليه، المفهوم مع أنه يدخل المفهوم في إطار المذموم إذا تأثر بهذا المدح في قلبه، ورتب عليه بعض الأمور مثل ما قال المؤلف: "**ويتسبب في أذى من لا يجيبه إليه**" إذا حمله ذلك على الكبرياء، على الرياء، لا شك أن هذا مذموم، ولو كان في فعله، بل منهم من يفعل الشيء من أجل أن يحمد عليه يكون الباعث عليه الحمد فقط هذا لا شك بذمه، أما أن يفعل الإنسان فعلاً مخلصاً فيه لله جل وعلا، ثم بعد ذلك ترتب على هذا الفعل

من يذكره بخير ويثني عليه فذلك عاجل بشرى المؤمن، والمسألةُ دقيقةٌ جداً، فلا تعارض بين كلام المؤلف رحمه الله وبين ما فهمه بعضهم من الآية.

"وربما كان ذلك الفعل إلى الذم أقرب منه إلى المدح" مع الأسف سمعنا من يثني على بعض المسؤولين بأفعالٍ مخالفة للشرع، ومع الأسف أن ينتسب هذا إلى العلم والدعوة.

"ورُبما كانَ ذلكَ الفعلُ إِلَى الذمِّ أقربَ منهُ إِلَى المدحِ، وربما أظهرَ أمرًا حسنًا في الظاهرِ، وأحبَّ المدحَ عليه وقصدَ بهِ في الباطنِ شرًّا، وقصد تمْويهِ ذلكَ وترويجه عَلَى الخلقِ."

وفي النسخة الثانية: وفرح بتمويه ذلك وترويجه عَلَى الخلقِ.

"وهذا يدخلُ في قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ} الآية"

الآن هذا الذي مُدح على فعله لكنه قصد بهذا الفعل شراً وإن كان ظاهره الخير، لأنه قد يكون ظاهره خير بالنسبة لقوم ويتضرر به آخرون، لو أن شخصاً اغتصب داراً ومنحها لفلان من لا يعرف أصل القصة وأنها مغصوبة، يرى أنه أحسن لهذه العائلة أو الأسرة الفقيرة بهذا البيت، ومدحوه وأثنوا عليه وطنطنوا كتبوا في الصحف وكذا، لكنه في حقيقة الأمر مصيبة، مطعمة الأيتام من كد فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدقي، يغتصب بيت ويهديه إلى أُسرة فقيرة محتاجة، يعني ظاهره عند من لا يعرف حقيقة الأمر يستحق المدح، ويمدح ويثنى عليه به لكنه في باطنه شر بلا شك.

"فإن هذه الآية إنما نزلت فيمن هذه صفاته، وهذا الوصف أعني طلب المدح من الخلق ومحبته والعقوبةَ على تركه لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له"

ذكرنا كلام ابن القيم في الفوائد من قوله: (إذا حدثتك نفسك بالإخلاص فاعمد إلى حب الثناء والمدح والطمع، حب الثناء والمدح فاذبحه بسكين علمك أنه لا أحد ينفع مدحه ولا يضر ذمه إلا الله، والطمع بما في أيدي الناس يقول اعمد إليه واذبحه بعلمك أو بسكين علمك أنه لا رازق إلا الله).

"ومن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم، وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق، ويأمرون بإضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له، فإن النعم كلها منه.

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز رحمه الله شديد العنايةِ بذلكَ، وكتبَ مرةً إِلَى أهلِ الموسمِ" يعني في الحج **"كتابًا يُقرأُ عليهم، وفيه الأمرُ بالإحسانِ إليهم، وإزالةُ المظالِمِ التي كانت عليهم، وفي الكتاب: "ولا تحمدُوا عَلَى ذلك كُلِّهِ إلّا اللَّهِ، فَإِنّهُ لوْ وَكَلَني إِلَى نفسِي كنتُ كغيري"."**

يعني من الولاة الذين تقدموا عليه وسبقوه وصدر منهم بعض ما صدر، المقصود أن عمر بن عبد العزيز مثال للحاكم العادل الخليفة الراشد، الذي الدنيا لا تعني عنده شيئاً، بحيث لما ولي الخلافة تجرد من الدنيا كلها، وجرد كُل من حوله من النساء والبنين والبنات وتركهم بدون أموال، وعرضنا لشيء من ذلك فيما تقدم، وقلنا أن عمر بن عبد العزيز لم يترك إرثاً، وقيل له في ذلك فقال: من كان تقياً فلن يضيعه ربه، ومن كان فاسقاً فلن أعينه على فسقه.

"وحكايتُه مع المرأةِ التي طلبتْ منه أن يفرضَ لِبناتِها اليتامى مشهورةٌ، فإنها كانت لها أربعُ بناتٍ، ففرض لاثنتينِ منهنَّ" أعطى لاثنتين **"وهي تحمدُ اللَّه، ثُم فرضَ للثالثةِ فَشَكرتْهُ، فقالَ: إنّمَا كنَّا نفرضُ لهنَّ حيثُ كنتِ تولينَ الحمدَ أهلَهُ، فمري هذه الثلاثَ يُواسينَ الرابعة. أو كما قال رحمه الله."**

الملحظ: أنها في أول الأمر تحمد الله لما أعطى الاثنتين، ولما أعطى الثالثة شكرتهُ، طيب لا يشكر الله من لا يشكر الناس، يعني إذا حُمد بما تسبب فيه من خير هل يلام؟ أو يستدرك على من حمده على ذلك؟ لكنها منازل فمنزلة بعض الناس فوق منازل غيرهم، وعمر بن عبد العزيز لحظ شيء ما يخطر على بال كثير من الناس رحمه الله.

سؤال: ....

الشيخ: (من صنع إليكم معروف فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له) هل قال: اثنوا عليه وامدحوه؟ دعاء وليس ثناء، شكرته يعني أثنت عليه هو فهم هذا.

" وحاصل الأمر أراد أن يعرف أنَّ ذا الولايةِ إنما هو مُنتصِبٌ لتنفيذ أمرِ اللَّه، وآمرُ العبادَ بطاعة الله تعالى وناهٍ لهم عن محارم الله، ناصحٌ لعبادِ الله بدُعائهم إِلَى الله"

بعض من يتصدر في توجيه الناس هو في حقيقة الأمر يدعو إلى نفسه، والأمور بمقاصدها والله المستعان، "فهو يقصد أن يكون الدينُ كُلُّه لله، وأن تكونَ العِزَّةُ لله وهو مع ذلك خائفٌ من التقصيرِ في حقوقِ الله أيضًا."

قال الإمام رحمه الله تعالى:

"فالمُحِبّونَ لله غايةُ مقاصدهم من الخلقِ أن يحبوا الله ويُطيعوهُ، ويفردوه بالعبوديةِ والإلهيةِ، فكيفَ من يزاحِمُهُ في شيء من ذلك، فهو لا يريدُ من الخلقِ جزاءً ولا شُكُوراً، وإنما يَرجُو ثوابَ عمله من الله كما قال الله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ} الآيتين [آل عمران: ٧٩].

وقال –صلى الله عليه وسلم –: "لَا تُطرُونِي كَمَا أَطرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبد، فقولُوا: عبدَ الله ورسُولهُ".

وكَانَ –صلى الله عليه وسلم – يُنكرُ عَلَى مَن لَا يتأدَّبُ معهُ في الخطاب بهذا الأدب، كما قال: "لَا تقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ محمدٌ، بل قُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ".

وقال لمن قال: مَا شاءَ اللَّه وشئتَ: "أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاءَ الله وَحْدَهُ".

فَمِن هُنا كانَ خُلفاءُ الرُّسلِ وَأَتباعُهم مِن أُمراءِ العَدلِ وقُضاتِهم لَا يدعونَ إِلَى تعظيمِ نفوسهم البتَّةَ؛ بل إِلَى تعظيمِ الله وحدَهُ وإفرادِهِ بالعُبودية والإلهيةِ، ومنهم من كانَ لا يُريدُ الولايةَ إلّا للاستعانةِ بها عَلَى الدعوة إِلَى الله وحدهُ.

وكان بعضُ الصالحينَ يتولى القضاء ويقولُ: أنا أتولاهُ لِأَستعينَ بهِ عَلَى الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنُكر.

ولهذا كانتِ الرسلُ وأتباعُهم يصبرونَ عَلَى الأذى في الدعوة إِلَى الله، ويتحملونَ في تنفيذ أوامر الله من الخلقِ غايةَ المشقةِ وهُم صابرونَ؛ بل رَاضُونَ بذلك، فإن المحبَّ ربما يتلذذُ بما يُصيبهُ من الأذى في رضى مَحبوبهِ، كما كانَ عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيز رحمهما الله يقولُ لأبيهِ في خلافتهِ إذا حرصَ عَلَى تنفيذِ الحقّ وإقامةِ العدلِ: يا أَبَتِ، لوَدِدْتُ أَني غَلتْ بي وبكَ القُدورُ في الله عزَّ وَجَلّ.

وقال بعضُ الصّالحينَ: ودَدتُ أنَّ جسمي قُرِضَ بالمقاريضِ وأَنَّ هذا الخلقَ كُلّهم أطاعُوا اللهَ عزَّ وَجَلّ. فعُرِضَ قولُه عَلَى بعض العارفينَ، فَقَالَ: إن كانَ أرادَ بذلك النصيحةَ للخلق وإِلَّا فلا أدري. ثم غُشِيَ عليهِ.

ومعنى هذا: أنَّ صاحبَ هذا القولِ قد يكونُ لحظ نُصحِ الخلقِ والشفقةِ عليهمِ من عذابِ اللّه وأحبَّ أن يفدِيَهم من عذابِ اللّه بأَذى نفسهِ، وقد يكونُ لحظ جَلالِ اللّه وعظمتِهِ وما يستحقُّهُ من الإجلالِ والإكرامِ والطَّاعةِ والمحبةِ، فَوَدَّ أَنَّ الخلقَ قاموا بذلك، وإن حَصَلَ له في نفسهِ غايةُ الضررِ، وهذا هو مَشهدُ خواصِّ المُحبين العارفينَ بِمُلاحظتهِ فغُشِيَ عَلَى هذا الرجلِ العارفِ.

وقد وصف اللّه تعالى في كتابه أن المحبين له يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم.

وفى ذلك يقولُ بعضُهم:

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاك لَذِيذَةً ... حُبًّا لِذِكرِك فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ"

مثل حُب المدح، إذا كانت كراهية الذم وهو عنده ما يذم عليه، لا شك أنها فيها نوع خدش، لكن إذا كان يُذم بما ليس فيه، فمن حقه أن يكره ذلك كراهية شديدة، لأن هذا ظلم وعدوان عليه وإن كان له فيه أجر،

قال رحمه الله: "**فالمُحِبّونَ للّهِ غَايةُ مقاصدهم من الخلقِ أن يحبوا الله ويُطيعوهُ**" كما كان الرسول يدعون أقوامهم وأممهم من أجل أن يعبدوا الله وحده "**ويُطيعوهُ ويفردوه بالعبوديةِ والإلهيةِ، فكيفَ من يزاحِمُهُ في شيء من ذلك**" يعني العالم أو من يدعي العلم أو من يتصدى لنصح الناس وتوجيههم، إما أن يحب أن يطيع الناس الله جل وعلا ويفردوه بالعبودية والألهية فيكون هذا قدوته الرسل عليهم الصلاة والسلام، والنوع الثاني: مثل ما تقدم يريد أن يتعالى على الناس ويأمرهم فيطيعوه وينهاهم فينتهوا، هذا مزاحم لله في أمره ونهيه كما تقدم.

"**فهو لا يريدُ من الخلقِ جزاءً ولا شُكُورًا**" وإنما يريدهم أن يعبدوا الله ويخلصوا له وجزاؤه على الله جل وعلا "**وإنما يَرجُو ثوابَ عمله من الله كما قال الله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}**."

الرباني هو الذي يتعلم العلم ويعمل به ويعلم الناس، هذا الرباني، يتعلم ويعمل ويعلّم، وقال ابن عباس: هو الذي يعلم الناس صغار العلم قبل كباره، {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}

"**قال -صلى الله عليه وسلم -: "لَا تُطرُونِي**" لا تطروني يعني: لا تغلو ولا تبالغوا في مدحي بحيث تذكرون لي شيئاً من حقوق الله جل وعلا، أو تصرفوا لي شيئاً مما لا يستحقه مخلوق بل هو من خصائص الله جل وعلا. "**لَا تُطرُونِي كَمَا أَطرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**" قالوا بأنه ابن الله وقالوا ثالث ثلاثة نسأل الله العافية "**إِنَّمَا أَنَا عَبد، فقولُوا: عبدَ الله ورسُولهُ**"."

"**وكَانَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يُنكرُ عَلَى مَن يتأدَّبُ معهُ**" يعني الحامل للألفاظ الآتية هو الزيادة في الأدب والاحترام والتقدير كما يزعمه بعض الغلاة، إنا ما نفعل ذلك؟ حتى من يتأدب الأدب الذي فيه غلو بعض غلاة الصوفية يزعمون أن غلوهم فيه أدب ومحبة لرسول صل الله عليه وسلم ويرمون غيرهم بالجفاء، قال رحمه الله: "**وكان صل الله عليه وسلم ينكر على من يتأدب معه**" في هذه النسخة، وفي النسخة الأخرى: "**لا يتأدب**" وعلى كل حال وإن كان في ظاهره أدب وزيادة ومبالغة بالأدب إلا أنه في حقيقته بالنسبة لجناب الله جل وعلا سوء أدب.

سؤال: ...

الشيخ: يمكن توجيه هذا ويمكن توجيه هذا، لأن بعض العلماء كابن عبد البر وكابن حجر يميل إلى شيء منه أن الخصائص لا تقبل التخصيص، فمثلاً قوله عليه الصلاة والسلام: (جعلت لي الارض مسجداً وطهورًا) خصصت هذه الخصيصة بالمقبرة مثلاً، لا تجوز الصلاة في المقبرة، لورود ما يخصص المقبرة من النص العام وهو حديث الخصائص، قالوا أن الخصائص ما تقبل التخصيص، صل في المقبرة، لأن الارض جعلت مسجدًا وطهورًا، والسبب في ذلك لأن الخصائص فضائل للرسول عليه الصلاة والسلام، والتخصيص تقليل لهذه الفضائل، ففيه سوء أدب مع النبي صل الله عليه وسلم، عرفنا الملحظ؟ جماهير أهل العلم يقولون: أن الحديث مخصوص بالمقبرة والخاص مقدم على العام، ما لحظه ابن عبد البر رحمه الله هو ملحظ جيد من جهة، لأن هذه خصائص وفضائل للنبي صل الله عليه وسلم والتخصيص تقليل لهذه الفضائل، لكن إذا تعارض حقه عليه الصلاة والسلام مع حق الله جل وعلا فما الذي يقدم؟ حق الله جل وعلا، لأن النهي عن الصلاة في المقبرة من باب حماية جناب التوحيد الذي هو حق الله.

"كما قال: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، بل قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد"."

وبعض الناس هذه (ثم) لا شك أنها تعني التراخي في الرتبة، منزلة الرسول عليه الصلاة والسلام متراخية عن رتبه الله جل وعلا، وليست المنزلة واحدة أو متقاربة، لكن مع ذلك بعض الناس يبالغ، يسمع أن هذا قادح في التوحيد ثم بعد ذلك يأتي بـ(ثم) في مواطن لا تصلح فيها (ثم)، والتبصير في مثل هذا قد لا يكون سائغ أو لائق في أمثلة ذكرها بعض الناس، جرت على ألسنتهم من باب المبالغة في مثل هذا التراخي، بل ترتب عليه نسبة ما لا يجوز على الله جل وعلا.

"وقال لمن قال: مَا شاءَ اللّه وشئتَ: "أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاءَ الله وَحْدَهُ"."

فَمِن هُنا كانَ خُلفاءُ الرُّسلِ وَأَتباعُهم مِن أُمراءِ العَدلِ وقُضاتِهم لَا يدعونَ إِلَى تعظيمِ نفوسهم البَتَّة"

قد يرد على ألسنة بعض من يتصدر للتعليم أو يتصدر للدعوة هو في حقيقته من خلال ما ينضح به لسانه وفي حقيقته يدعو إلى نفسه، قد رأى بعض السلف واعظًا فقال له: ابن من أنت؟ قال: ابن فلان، قال: أنت ابن اعرفوني، نسأل الله العافية.

" **بل إِلَى تعظيمِ الله وحدَهُ وإفرادهِ بالعُبودية والإلهيةِ، ومنهم من كانَ لا يُريدُ الولايةَ إلَّا للاستعانةِ بها عَلَى الدعوة إِلَى الله وحدهُ**"

يوسف لما قال: {اجعلني على خزائن الأرض} هل قصده أن يتصرف في هذه الخزائن؟ أو من أجل الأمر والنهي والتسلط على الناس؟ لا والله، ليتمكن بذلك من العدل بين الناس والدعوة لهم إلى دين الله حيث دعاهم في السجن: {أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} وبعض المشايخ من شيوخنا قيل له أنت تقول ولا يسمع لك أحيانًا فلماذا لا تعتزل؟ كأنك صرت ذريعة للناس ليحسنوا الظن ببعض المسؤلين وأنت مجرد تمشيه، قال: لا ليس الأمر كذلك، أنا إذا تركت ما سمع شيء البتة والأمر الثاني أني جلست من أجل الأمر والنهي والله ما جلست من أجل الوظيفة ولا مايترتب على الوظيفة، لأنه إذا كان في منصبه يسمع لهُ ويطاع وإذا ترك خلاص انتهى، فهذا صرح به بعض الشيوخ المعروفين، والناس يقعون في أعراضهم ولا تركوهم ويلومونهم ويشددون في لومهم وهم مايدون عن حقيقة الحال والأمر.

"**وكان بعضُ الصالحينَ يتولى القضاء ويقولُ: أتولاهُ لِأَستعينَ بهِ عَلَى الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنُكر.**" من أجل أن يتمكن ليأمر وينهى، "**ولهذا كانت الرسل واتباعهم يصبرون على الأذى في الدعوة إلى الله ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة**"

من قرأ في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام عرف ما حصل له من أذى قومه له، وكذلك سائر الرسل واتباعهم إلى يوم القيامة وطريق الدعوة كما يقال بالأسلوب المعاصر ليس مفروشًا بالورود، ولذلك من لازِم ذلك كما جاء في سورة العصر: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} لابد من الصبر، والمسائل التي ذكرها الإمام المجدد: الأولى: العلم، والثانية: العمل، والثالثة: الدعوة، والرابعة: الصبر على الأذى، "**وهم صابرون بل راضون بذلك**" بل بعضهم يتلذذ بمثل هذا الأذى كما كان شيخ الاسلام رحمه الله في السجن يقول: (أنا سجني خلوة) المقصود أنهم يتلذذون بمثل هذا، لكن هل للإنسان أن يعرض نفسه لهذه الأمور مما لا يستدعيه داعٍ ويتمنى مثل هذه الأمور يتمنى أن يسجن ليتلذذ؟ لا، الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (لا تتمنوا لقاء العدو لكن إذا لقيتموه فاصبروا) هذا إذا حصل تبعاً للدعوة، تبعًا لبيان الحق وإظهاره، له قدوة وله رسالة، أما أن يخالف من أجل أن يسجن هذا ما فعله أحد ولا يحمد عليه ولا يشكر عليه بل يذم على مخالفته، "**فإن المحب ربما يتلذذ بما يصيبهُ من الأذى في رضى**

محبوبه" وما ذكر عن المحبين والعشاق وأشياء ذكروها في كتب الأدب، ولابن القيم كتاب اسمه: روضة المحبين فيه أشياء من ذلك "**كما كان عبد الملك ابن عمر بن عبد العزيز رحمه الله**" عبد الملك هذا شاب صغير لما تولى أبوه الخلافة، وعلى قدر كبير من العمل والعبادة والزهد وأيضاً شيء من العلم، وقد ألف الحافظ ابن رجب رسالة في سيرته سيرة عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز مطبوعة بقدر هذا الكتاب، وفيها العجائب، تعرف كيف نشأ الناشئة على ما رباه آبائهم عليه من الخير والصلاح والفلاح والهادي هو الله جل وعلا، لكن لابد من بذل الأسباب هذا ابن عمر بن عبدالعزيز، "**كما كانَ عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيز رحمهما الله يقولُ لأبيهِ في خلافتهِ إذا حرصَ عَلَى تنفيذِ الحقّ وإقامةِ العدلِ: يا أَبَتِ، لوَدِدْتُ أَني غَلتْ بي وبكَ القُدورُ في الله عزَّ وَجَلّ.**" لكن عافية الله أوسع من ذلك، نعم عافية الله أوسع من ذلك، والله لا يعرضنا لابتلاء، والقوم منازلهم تختلف عما نعيشه ونتقلب فيه، لكن مع ذلك...

" **لوَدِدْتُ أَني غَلتْ بي وبكَ القُدورُ في الله عزَّ وَجَلّ. وقال بعضُ الصّالحينَ: ودَدتُ أنَّ جسمي قُرِضَ بالمقاريضِ وأَنَّ هذا الخلقَ كُلّهم أطاعُوا اللَّه عزَّ وَجَلّ.**" الإنسان لا شك أن طلب نجاته بنفسه مقدم على كل أحد، يتمنى للناس الخير ويحب لإخوانه ما يحب لنفسه لكن مع ذلك ما يلزم أن يتمنى أن يكون فداء لغيرة، لاسيما في أمور الدين، "**فعرض قوله على بعض العارفين**" وفي النسخة الأخرى "**المتقدمين**" المتقدمين بالنسبة للمؤلف أو بالنسبة لقائل هذا القول؟

إجابة: ...

الشيخ: لا يمكن، النسخة الثانية كأنها أوضح، "**فعُرضَ قولُه عَلَى بعض العارفينَ، فَقَالَ: إن كانَ أرادَ بذلك النصيحةَ للخلق وإِلّا فلا أدري. ثم غُشِيَ عليه**" هذا الظاهر، يحتمل غير هذا؟ يقرض جسده بالمقاريض ليطيع الناس الله جل وعلا، يريد النصيحة

مداخلة: يريد تأكيد الكلام.

الشيخ: يقول "**إن كان أراد بذلك النصيحة للخلق وإلا فلا أدري**" هذا تردد، والله ما أدري ولكن الأسلوب أسلوب تردد. "**ثم غُشي عليه**" هذا الغُشي الذي حصل لبعض السلف سواء كان بسبب سماعه آية من كتاب الله أو لموقف أو لشيء من هذا، هذا موجود في السلف بكثرة، نعم لا يوجد ما حصل من

النبي عليه الصلاة والسلام ولا من كبار الصحابة إنما حصل فيمن بعدهم، وبعضهم ينكر في مثل هذا، وابن سيرين كما في ترجمته في السير وغيره يقول: هؤلاء -الذي يغشى عليه بسبب سماع القرآن- يقول: يوضع فوق جدار ويقرأ القرآن إن سقط فهو صادق، كأنه يشكك في مثل هذا، لكنه موجود وهو مستفيض في السلف وشيخ الإسلام يوجهه بإنه لم يحصل من النبي عليه الصلاة والسلام، لأن القرآن ثقيل كما قال الله جل وعلا: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} نعم وقلبه قوي، هذا الوعاء يناسب النازل فيحصل التوازن، وكذلك كبار الصحابة، استشعار هذا القول الثقيل وعظمة القرآن استمرت فيمن جاء بعدهم لكن القلوب ضعفت، فما فيه توازن بين النازل والظرف المنزول عليه، فحصل الغُشي، جاء بعدهم خلوف استشعار عظمة القرآن خفت عندهم، ولذلك لا يؤثر فيهم مثل هذا التأثير، لأن قلوبهم ليست بمستوى قلوب من تقدم واستشعار عظمة القرآن أقل، فكأنه ضعيف على ضعيف لا يفعل شيء، يعني بالنسبة لهم ولتصورهم والا فالقرآن هو القرآن {لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} أي الجبل أقوى وقلب الإنسان؟ الذي بيدك تقدره، ابيدك يمكن تمزقه، لكن المسألة مسألة استشعار لعظمة هذا القرآن.

"**ومعنى هذا: أنَّ صاحبَ هذا القولِ قد يكونُ لحظ نُصحِ الخلقِ والشفقةِ عليهِم من عذابِ اللَّه وأحبَّ أن يفديَهم من عذابِ اللَّه بأَذى نفسهِ، وقد يكونُ لحظ جَلالِ اللَّه وعظمتِهِ وما يستحقُّهُ من الإجلالِ والإكرامِ والطَّاعةِ والمحبةِ، فَوَدَّ أَنَّ الخلقَ قاموا بذلك، وإن حَصَلَ له في نفسهِ غايةُ الضررِ**" سواءً كان هذا أو ذاك كلها مما يجدر بالمسلم أن يفديه بما يستطيع، قال: "**وهذا هو مَشهدُ خواصِّ المُحبين العارفينَ بمُلاحظتهِ فغُشِيَ عَلَى هذا الرجلِ العارفِ. وقد وصف اللَّه تعالى في كتابه أن المحبين له يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم.**"

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ}

"**وفي ذلك يقولُ بعضُهم:**

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حُبًّا لِذِكرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ" يعني فليصنعوا ما شاءوا، يعني وصل الحد في بعض المحبين إلى درجة الجنون، لماذا؟ لأن عنده هدف عنده شيء ملك عليه عقله وقلبه ومشاعره وحواسه بحيث لا يرى الناس شيئاً في مقابل هذه المحبة.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

******

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:

"القسم الثاني:

طلبُ الشَّرفِ والعُلوّ عَلَى الناس بالأُمور الدينيةِ، كالعلمِ والعملِ والزُّهدِ.

فهذا أفحشُ من الأولِ وأقبحُ وأشدُّ فسادًا وخطرًا، فإنَّ العلمَ والعملَ والزهدَ إنَّمَا يُطلبُ بها ما عند الله من الدرجات العُلَى والنعيمِ المقيمِ ويطلب بها ما عند الله والقربِ منهُ والزُّلفى لَديهِ.

قال الثوريُّ: إنَّما فُضلَ العلمُ؛ لأنَّهُ يُتقى به اللّه، وإلَّا كَانَ كسائر الأشياءِ.

فَإِذَا طلبَ بشيء من هذا عَرضَ الدُّنْيَا الفاني فهو –أيضًا– نوعانِ:

أحدهما: أن يطلبَ به المالَ، فهذا من نوعِ الحرصِ عَلَى المالِ وطلبهِ بالأَسبابِ المحرَّمةِ.

وفي هذا الحديث عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم –: " «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يعني: رِيحَها.

خرّجهُ الإمامُ أحمد، وأبو داود، وابنُ ماجه، وابنُ حبانَ في "صحيحه" من حديث أبي هريرة، عن النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وسببُ هذا –واللَّه أعلمُ– أَنَّ في الدُّنْيَا جنةً مُعجَّلةً، وهي معرفةُ الله ومحبتُهُ، والأُنسُ به والشَّوقُ إِلَى لقائِهِ، وخشيتُهُ وطاعتُهُ، والعلمُ النافعُ يدلُّ عَلَى ذلك، فمن دلَّهُ علمهُ عَلَى دخول هذه الجنةِ المُعجَّلةِ في الدُّنْيَا دَخَلَ الجنةَ في الآخرةِ، ومن لم يشُم رائحتَها لم يشُم رائحةَ الجنةِ في الآخرةِ.

ولهذا كان أشد الناس عذابًا في الآخرة عالمٌ لم ينفعهُ اللَّه بعلمهِ، وهو أشدُّ الناسِ حسرةً يومَ القيامةِ، حيثُ كان معهُ آلةٌ يتوصَّلُ بها إِلَى أعلى الدَّرجاتِ وأَرفعِ المقاماتِ، فلم يستعملها إلا في التوصُّل إِلَى

أَخَسِّ الأمورِ وأدناهَا وأحقرِهَا، فهو كمن كان معهُ جواهرُ نفيسةٌ لها قيمةٌ، فباعَها ببعر أو شيءٍ مستقذَرٍ لا يُنتفعُ بهِ، بل حالُ من يطلبُ الدُّنْيَا بعلمهِ، أقبح وأقبحُ وكذلك من يطلبُها بإظهارِ الزهدِ فيها، فإنَّ ذلكَ خداعٌ قبيحٌ جدًّا.

وكان أبو سليمان الدَّارانيُّ يعيبُ عَلَى من لبس عباءةً، وفي قلبهِ شهوةٌ من شهواتِ الدُّنْيَا تساوي أكثر من قيمةِ العَباءة.

يشيرُ إِلَى أنَ إظهارَ الزهدِ في الدُّنْيَا باللباس الدني إِنَّمَا يصلحُ لمن فرغَ قلبهُ من التَّعلُّقِ بها، بحيثُ لا يتعلقُ قلبُهُ بها بأكثرَ من قيمةِ ما لبسهُ في الظاهرِ، حتى يستوي ظاهرُهُ وباطنُهُ في الفراغ من الدُّنْيَا.

وما أحسنَ قول بعض العارفينَ –وقد سُئلَ عن الصوفيّ– فَقَالَ: الصوفيّ.

مَنْ لبسَ الصُّوفَ علَى الصَّفَا ... وَسَلَكَ طَرِيقَ الْمُصْطَفَى

وَذَاقَ الْهَوَى بَعْدَ الْجَفَا ... وَكَانَتِ الدُّنْيَا مِنْهُ خَلْفَ الْقَفَا"

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول المؤلف رحمه الله تعالى: "**القسم الثاني**" يعني من أقسام طلب الشرف وحب الشرف والجاه "**طلبُ الشَّرفِ والعُلوّ عَلَى الناس بالأُمور الدينيةِ**" طلب الشرف والجاه في أمور الدنيا فيه ما تقدم، ويزداد سوءاً إذا طلب الشرف على الناس مظهراً لهم أنه مريد بذلك الله جل وعلا والدار الآخرة، فتجده يتزهد ويتمسك فيما يبدوا للناس وهو في حقيقة أمره ذئب، ولذا جاء في كلام بعضهم: يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب.

"**طلبُ الشَّرفِ والعُلوّ عَلَى الناس بالأُمور الدينيةِ كالعلمِ والعملِ والزُّهدِ.**" يقول: "**فهذا أفحشُ من الأولِ وأقبحُ**" لأن الأول ظاهر ومكشوف ولا فيه خداع للناس، وإنما فيه حب الرئاسة والشرف وحب الأمر والنهي وحب أن يؤتمر بأمره ويطاع ويُنتهى ويزدجر عن نهيه، فهذا نوع تسلط وهذا نوع بلا شك منازعة لله جل وعلا في أمره ونهيه وكبريائه لكن الأمر الثاني والقسم الثاني أشد وأعظم وأنكأ، يصطاد بالدين، "**كالعلمِ والعملِ والزُّهدِ. فهذا أفحشُ من الأولِ وأقبحُ وأشدُّ فسادًا وخطرًا، فإنَّ العلمَ والعملَ**

والزهدَ إنَّمَا يُطلبُ به ما عند الله من الدرجات العُلَى" يعني الإنسان يتعلم لماذا؟ ليتكسب بعلمه؟ ليماري به؟ ليجادل به؟ ليتصدر به المجالس؟ ليقال عالم؟

ومَن يَكُنْ لِيَقُولَ الناسُ يَطْلُبُهُ *** أخْسِرْ بِصَفْقَتِهِ فِي مَوْقِفِ النَّدَمِ

"**ويطلب بها ما عند الله والقربِ منهُ والزُّلفى لَديهِ**" لأن العلم من أمور الآخرة المحضة التي لا تقبل التشريك، والمراد به العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما حواه الوحيان وما يعين على فهم الوحيين، أما العلوم الأخرى فشأنها كشأن سائر أمور الدنيا، ولذلك لو أوصي لأهل العلم ما تناول غير أهل العلم الشرعي، ما كان الناس ينازعون ويجادلون في تسمية العلوم الأخرى علمًا، ما كان فيه منازعة! والآن يوجد من ينازع وأنه إذا وجد وصية لأهل العلم فهي تتناول جميع العلوم، بما في ذلك علوم الدنيا من الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم، حتى ولو كانت تدرس على أيدي الكفار! تصرف لهم من الوصايا، وصايا المسلمين، لكن من أوصى لأهل العلم أعني في عقود مضت هل يتصور أن يدور في ذهنه أن تصرف وصيته لطالب هندسة في الغرب، يمكن أن يجول في خاطره مثل هذا؟ أبدًا والله، ما كان الناس يختلفون في ماهية العلم وحقيقة العلم الذي يدخل في نصوص الشرع، ولذلك يقول صاحب مختصر التحرير: "العلم لا يحد في وجه" لماذا لا يحد؟ ما يحتاج إلى حد، مثل النهار ومثل الليل ومثل الماء وغيره لا يحتاج لحد لذلك يقول: "العلم لا يحد في وجه" والله المستعان.

سؤال: ...

الشيخ: لا، أجيب مثل هذا على أن مثل هذا الكلام موجود في كلام أهل العلم، وإلا فقال في المقدمة: إذا قلت في وجه فالمقدم غيره.

"**قال الثوريُّ: إنَّمَا فُضلَ العلمُ؛ لأنَّهُ يُتقى به الله**" المقصود بالعلم المورث لخشية الله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} {ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} فالعلم المورث للخشية هو النافع، والله المستعان "**وإلَّا كَانَ كسائر الأشياءِ**" مهنة من المهن، وليته مثل المهن الأخرى التي لا تبعة فيها، يعني من يدرس طب ولا هندسة ولا تجارة أو نجارة وغيرها من العلوم، هذا لا له ولا عليه كسائر أمور الدنيا، إذا قصد بذلك نفع المسلمين وتيسير أمورهم فإنه يؤجر بقدر هذه النية، وإلا ما عليه شيء لو نوى به عرض الدنيا، لكن

الإشكال إذا طلب ما يبتغى به وجه الله طلب به الدنيا كما سيأتي من النصوص "**فَإِذَا طلبَ بشيء من هذا عَرضَ الدُّنْيَا الفاني فهو أيضًا نوعانِ:**

أحدهما: أن يطلبَ به المالَ، فهذا نوعٍ من الحرصِ عَلَى المالِ وطلبهِ بالأَسبابِ المحرَّمةِ.

وفي هذا الحديث عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم –: " «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يعني: رِيحَها.

خرّجهُ الإمامُ أحمد، وأبو داود، وابنُ ماجه، وابنُ حبانَ في "صحيحه" من حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم"

يقول: "**وسبب هذا**" يعني حرمانه من رائحة الجنة، من دخول الجنة، قال: "**وسببُ هذا واللهُ أعلمُ أَنَّ في الدُّنْيَا جنةً مُعجَّلةً**" وأشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما، قال: من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة "**وهي معرفةُ الله ومحبتُهُ، والأُنسُ به والشَّوقُ إِلَى لقائِهِ، وخشيتُهُ وطاعتُهُ، والعلمُ النافعُ يدلُّ عَلَى ذلك**" يقود إلى الخشية "**فمن دلَّهُ علمهُ عَلَى دخول هذه الجنةِ المُعجَّلةِ في الدُّنْيَا دَخَلَ الجنةَ في الآخرةِ، ومن لم يشُم رائحتَها لم يشُم رائحةَ الجنةِ في الآخرةِ. ولهذا كان أشد الناس عذابًا في الآخرة عالِمٌ لم ينفعهُ اللَّه بعلمهِ**" وعالم بعلمه لم يعملن ... معذَّبٌ بعلمه قبل عُبَّادِ الوثن

والعالم مثل ما تقدم في الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار: العالم الذي تعلم ليقال عالم "**وهو أشدُّ الناسِ حسرةً يومَ القيامةِ**" لأنه قد يرى من دخل الجنة ونعم بسببه وهو قد دخل بسبب علمه النار نسأل الله السلامة والعافية "**حيثُ كان معهُ آلةٌ يتوصَّلُ بها إِلَى أعلى الدَّرجاتِ**" بإمكانه ويعرف، ولا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم (من عصاني وهو يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني) ولذا كان عذاب أبي طالب أشد من نظرائه من الكفار لولا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم: (ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) لماذا؟ لأنه عاش وخالط النبي عليه الصلاة والسلام، وعرف من دعوته مالم يعلمه غيره، يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا المذمة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ومع ذلك يموت على ملة عبد المطلب نسأل الله السلامة والعافية.

"حيثُ كان معهُ آلةٌ يتوصَّلُ بها إِلَى أعلى الدَّرجاتِ وأَرفعِ المقاماتِ، فلم يستعملها إلا في التوصُّل إِلَى أَخَسِّ الأمورِ وأدناهَا وأحقرِهَا، فهو كمن كان معهُ جواهرُ نفيسةٌ لها قيمةٌ، فباعَهَا ببعرة أو شيءٍ مستقذَرٍ لا يُنتفَعُ بهِ" سبق فيما مضى الكلام في سلم الخاسر وهو مترجم بترجمة طويلة في تاريخ بغداد، شاعر معروف، سلم الخاسر قال: سمي الخاسر لأنه باع مصحفًا واشترى بثمنه طنبورا، خاسر! وهو مثل هذا **"أو شيءٍ مستقذَرٍ لا يُنتفَعُ بِهِ فهذا حالُ من يطلبُ الدُّنْيَا بعلمهِ، وأقبح من ذلك من يطلبُهَا بإظهارِ الزهدِ فيها، فإنّ ذلكَ خداعٌ قبيحٌ جدًّا"** هذا مخادع لله مخادع لخلقه، الآن من عنده علم {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} ما مقدار هذه الدرجات؟ الدرجة الواحدة من درجات الآخرة مثل ما بين السماء والأرض، فكيف بالدرجات؟ يرفع بالعلم هذه الدرجات ثم ينزل بنفسه إلى أمور حقيرة ويستبدل هذا العلم أو ثمرة هذا العلم بهذه الأمور الخسيسة! هذا الخذلان وهذا الحرمان.

"وكان أبو سليمان الدَّارانِيُّ" ما اسمه أبو سليمان؟ اسمه عبد الرحمن بن عطية من بني عبس، هذا اسمه؟ هو معروف بكنيته لكن هل هذا اسمه بالفعل؟ أبو سليمان يُكثر عنه شيخ الإسلام وابن القيم وابن رجب يكثرون النقل عنه، من العباد المشهورين وإن كان عليه ملاحظات، لكن هي طريقتهم في أخذ ما يُنتفع به من الشخص والحكمة ممن جاء به. هو عبد الرحمن بن أحمد وقيل عبد الرحمن بن عطية، **"وكان أبو سليمان الداراني يعيبُ عَلَى من لبس عباءةً، وفي قلبهِ شهوةٌ من شهواتِ الدُّنْيَا تساوي أكثر من قيمةِ العَباءة"** هذا الملحظ الدقيق، هذا يمر على السواد الأعظم من العلم وطلاب العلم وقد لا يلتفتون إليه؛ لأنه في تقديره وفي اصطلاحه لابد أن يتساوى الباطن مع الظاهر بدقة لا يزيد هذا على هذا ولا هذا، يكون ظاهر المسلم كباطنه، مع أن هذا في الحقيقة، يعني هذه الأمور الدقيقة الخفية قد يكون في تطبيقها شيء من العسر، والتكليف بما يشق ويعسر، فهذه المقامات التي لا يتصورها كثير من المسلمين، يقول **"من لبس عباءة وفي قلبه شهوة من شهوات الدنيا تساوي أكثر من قيمة هذه العباءة"** وين! الله المستعان الله المستعان.

"يشيرُ إِلَى أنَ إظهارَ الزهدِ في الدُّنْيَا باللباس الدني إِنَّمَا يصلحُ لمن فرغَ قلبهُ من التَّعلُّقِ بها، بحيثُ لا يتعلقُ قلبُهُ بها بأكثرَ من قيمةِ ما لبسهُ في الظاهرِ، حتى يستوي ظاهرُهُ وباطنُهُ في الفراغ من الدُّنْيَا" الآن طالب العلم الذي في حال السعة وفي سائر حياته حرصه على الصلاة، يدرك الصلاة يصلي مع الجماعة، لكن لا يحرص أن يدخل أول الناس أو حتى مع الأذان، ثم بعد ذلك يجاهد على أن يصلي خلف الإمام

حيث توجد الكاميرات في الحرم وغيره، وهذا موجود، ويقول: أنا أحرص أن أكون خلف الإمام لأن القرب منه أفضل من البعد منه، لكن أنت انظر في وضعك! في سائر أحوالك! هل هذا متوازن مع بقية حياتك؟ والله المستعان، إذا كان يحرص أن يكون خلف الإمام في السعة والرخاء وفي الضيق والشدة نعم لا بأس.

سؤال: ...

الشيخ: الصلاة مع الجماعة لا شك أنها من وسائل التنشيط على العبادة، لكن ينظر الإنسان في قلبه إذا صلى النافلة في المسجد أو في بيته هل تكون صلاته في المسجد يحرص فيها على السنن وإظهار الخشوع والخشية أكثر مما يكون خاليًا؟ هذا يراجع نفسه، لا شك أنه لو أن إنسانًا صلى التراويح في بيته كثير من الناس يكسل، وإن كان بعضهم عرفنا من أهل العلم من يصلي التراويح في بيته ليقوم غالب الليل، يقول: صلاة نصف ساعة في المسجد وش تسوي؟ ولا مانع أن يصلي مع الناس ولا ينصرف حتى ينصرف الإمام ويكتب له قيام ليلة، وإذا خرج إلى بيته أكمل، يستغل بقية وقته في طاعة الله.

"وما أحسنَ قول بعض العارفينَ وقد سُئلَ عن الصوفيّ فَقَالَ: الصوفيّ

مَنْ لبسَ الصُّوفَ علَى الصَّفَا ... وَسَلَكَ طَرِيقَ الْمُصْطَفَى

وَذَاقَ الْهَوَى بَعْدَ الْجَفَا ... وَكَانَتِ الدُّنْيَا مِنْهُ خَلْفَ الْقَفَا" هل هذا شعر أو نثر مسجوع؟

القارئ: عندنا يا شيخ شعر.

الشيخ: هو من الجواب (الصوفي)، مقول القول من الجواب، لا يستقيم الكلام بدونه، لكن لا يأتي مبتدأ في نثر والبقية شعر يصير المبتدأ في النثر والخبر في الشعر، على كل حال سواء كان هذا أو ذاك الأمر لا يختلف.

قال المصنف رحمه الله:

"النوعِ الثاني: مَن يطلبُ بالعمل والعلم والزهد الرياسة عَلَى الخلقِ والتعاظُمَ عليهم، وأن ينقادَ الخلقُ ويخضعونَ لهُ ويصرفُونَ وُجوههُم إليهِ، وأن يُظهرَ للناسِ زيادةَ علمهِ عَلَى العُلماءِ ليَعلوَ بهِ عليهِم ونحو ذلك.

فهذا موعدُهُ النارُ؛ لأنَّ قَصْدَ التَّكبرِ عَلَى الخلقِ مُحَرَّمٌ في نفسهِ، فَإِذَا استعملَ فيهِ آلة الآخرةِ كان أقبحَ وأَفحشَ من أن يستعملَ فيهِ آلاتِ الدُّنْيَا من المالِ والسلطانِ.

وفي " السنن " عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يُجَارِي بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يَصْرِفَ وُجُوهَ الناسِ إِلَيهِ أَدْخَلَهُ الله النَّارَ).

خرجه الترمذيُّ من حديث كعبِ بنِ مالكٍ.

وخرجه ابنُ ماجه من حديث ابن عمرَ وحُذيفةَ وعنده: "فَهُوَ فِي النَّارِ".

وخرج ابن ماجه، وابن حبان في "صحيحه" من حديث جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ العُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا لتَخَيّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ؛ فمنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنارَ النَّارَ).

وخرَّجه ابنُ عدَي من حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه، وزاد فيه: (وَلَكِنْ تَعَلَّمُوهُ لِوَجْهِ الله والدَّارِ الآخِرَةِ).

وعن ابن مسعود قال: "لَا تَعَلَّمُوا العِلمَ لِثَلاثٍ: لِتُماروُا بهِ السُّفهاءَ، أَو لتُجَادلُوا بهِ الْفُقهاءَ، أَو لِتَصرفُوا بهِ وُجوهَ النَّاسِ إِلَيكُمْ، وابتغُوا بقوْلكُم وفعلكُم ما عندَ اللَّهِ؛ فإِنَّه يبقَى؛ وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ".

وقد ثبتَ في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبيّ

–صلى الله عليه وسلم–: (إن أَوّلَ خلق تُسعَّرُ بهمُ النَّارُ يومَ القيامةِ ثلاثة ...) منهُمُ العَالمُ الَّذِي قرأَ القُرْآنَ ليُقَالَ: قَارئ، وتعلَّمَ الْعلمَ ليقَالَ عَالِمٌ، وأنَهُ يُقالُ لهُ: قدْ قِيلَ ذَلكَ، وأُمرِ بهِ فسُحبَ عَلَى وجههِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ. وذكر مثلَ ذلك في المتُصدّق ليقال إِنَّهُ جوادٌ، وفي المجاهدِ ليُقالَ إِنَهُ شُجاعٌ.

وعن علي رضي الله عنه قال: يا حملةَ العِلمِ، اعملوا بهِ؛ فإنما العالمُ من عملَ بما عَلمَ، فوافقَ عملُهُ علمَهُ، وسيكون أقوامٌ يحملونَ العلمَ لا يُجاوزُ تَراقِيهم، يُخالفُ عملَهم علمُهُم، وتخالفُ سريرتُهُم علانيتَهُم، يجلسونَ حلقًا حلقًا فيباهي بعضُهم بعضًا، حتى إنَّ الرجلَ ليغضبُ عَلَى جليسهِ إذا جلسَ إِلَى غيرهِ ويدعُهُ، أَولئكَ لا تصعدُ أعمالُهم في مجالسِهم تلكَ إِلَى الله عز وجَل.

وقال الحسنُ: لا يكونُ حظُّ أحدِكُم من العِلْم أن يقال عالمٌ.

وفي بعض الآثارِ أنَّ عيسى عليه السلامُ قال: "كيفَ يكونُ من أهلِ العلمِ من يطلبُ العِلْم ليُحَدِّث بهِ ولا يطلبُهُ ليعملَ به؟! ".

وقال بعضُ السلفِ: بَلغنا أَنَّ الَّذِي يطلبُ الأحاديثَ ليحدِّثَ بها لا يجدُ ريحَ الجنةِ، يعني: من ليسَ له غرضٌ في طلبهَا إلاَّ ليحدث بها دُون العملِ بها.

ومن هذا القَبيلِ كراهةُ السَّلفِ الصَّالحِ الجُرْأَة عَلَى الفُتيا والحرصَ عليها "والمنازعة" إليها والإكثارَ منها.

وروى ابنُ لهيعةَ عن عُبيد اللَّه "بن أبي جعفر مرسلاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أجْرَؤُكُم عَلَى الْفُتْيَا أَجرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ).

وقال علقمة: كانوا يَقُولُونَ: أَجرؤُكُم عَلَى الفتيا أَقلُّكُم علمًا.

وعن البراءِ قال: "أَدركتُ مائة وعشرين من الأنصارِ من أصحابِ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يُسأَلُ أحدُهُم عن المسأَلةِ مَا منهُم من أحد إلّا وَدَّ أن أخاهُ كَفاهُ".

وفي روايةٍ: "فيرُدُّها هذا إِلَى هذا، وهذا إِلَى هذا حتى ترجع إِلَى الأَوَّلِ".

وعن ابنِ مَسعودٍ رضي اللَّه عنه قال: "إن الَّذِي يُفتي الناسَ فى كُل ما يَسْتَفْتُونَهُ لمجنون".

وسُئِلَ عمرُ بنُ عبد العزيزِ عن مسألةٍ، فَقَالَ: ما أَنا عَلى الفُتيا بجَريءٍ.

وكتبَ إِلَى بعضِ عُمَّالِهِ: إِني واللَّه مَا أَنا بِحَرِيصٍ عَلَى الفُتيا، ما وَجدتُ منها بُدًّا.

وليسَ هذا الأمرُ لمن ودَّ أَنَّ الناسَ احتاجُوا إليهِ، إنما هذا الأمرُ لمن ودَّ أَنَّهُ وَجدَ من يَكفيهِ.

وعنهُ أنّه قال: أَعلمُ الناسِ بالفتوى أَسكَتُهُم، وأجهلُهُم بها أَنطقُهُم.

وقال سفيانُ الثوريُّ رحمة اللَّه عليه: أَدركنا الفُقهاءَ وهُم يَكرهونَ أن يُجيبوا في المسائل والفُتيا حتى لا يَجِدوا بُدًّا من أن يُفتوا، وإذا أُعفُوا منهَا كانَ أَحبَّ إليهِم.

وقال الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه: مَن عرّضَ نفسَهُ لِلفُتيا فقد عَرّضَها لِأَمْرٍ عَظيم، إلاَّ أنَهُ قد تُلجئُ الضرورةُ.

قِيلَ لَهُ: فَأَيَّمَا أفضلُ؟ الكلامُ أَمِ السُّكوتُ؟

قال: الإمساكُ أَحَبُّ إِلَيّ.

قِيلَ لَهُ: فإِذَا كَانتِ الضرورةُ؟

فجعلَ يقولُ: الضرورةُ الضرورةُ! وقالَ: الإمساكُ أَسلمُ لَهُ.

وليعلمِ المفتي أنهُ يوقعُ عن اللَّه أَمرهُ ونهيهُ، وأنهُ موقوفٌ ومسئُولٌ عن ذلك.

قال الربيعُ بنُ خُثيمٍ: أيها المفتون! انظُروا كيفَ تُفتون.

وقال عمرُو بنُ دينارٍ لقتادةَ لما جلس للفُتْيَا: تدري في أي عمل وقعت، وقعت بين الله وبين عباده وقلتَ: هذا يَصلحُ، وهَذا لا يَصلحُ."

الشيخ: وقّعت، الفتيا توقيع، إعلام الموقّعين، لا شك أن المفتي واسطة بين صاحب الحكم وهو الله جل وعلا وبين المستفتي، وهو في حقيقته وواقعه موقّع عن الله، ولذلك سمى ابن القيم رحمه الله كتابه: إعلام الموقّعين عن رب العالمين، والمراد بهم المفتون عن الله، فهم يوقعون عن الله، وهو إعلام أو أعلام، واقع الكتاب فيه شروط الفتوى وأوصاف المفتين، وهو إخبار لهم بما ينبغي وبما يجب عليهم لكن هو ذكر المفتون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فهم أعلام، المسألة فيها سعة. نعم. تدري في أي عمل وقعْت أو وقّعت، يمكن توجيهها على وجه صحيح.

وقعْت وقعْت، لو هي وقّعت قال: عن الله، لكن وقعْت وقفت في موقف كنت واسطة بين الله وبين عباده، لذا تكون وقعْت.

"وعن ابن المنُكدرِ قال: إِنَّ العالِمَ داخل بينَ اللَّه وبينَ خلقهِ، فلينظُرْ كيفَ يدخلُ عليهم.

وكان ابنُ سيرينَ إذا سُئلَ عن الشيءِ من الحلالِ والحرامِ تغيرَ لونُهُ وتبدَّلَ، حتى كأنَّه ليسَ بالذي كانَ.

وكانَ النَّخعيُّ يُسأَلُ فتظهرُ عليهِ الكراهةُ ويقولُ: ما وجدتَ أحدًا تسأل غيري؟! وقالَ: قَد تكلَّمتُ ولو وجدتُ بُدًّا مَا تكلمتُ، وإنَّ زمانًا أكونُ فيه فقيهَ الكُوفةِ لزمانُ سُوءٍ.

ورُوِيَ عن عمر قال: إنّكم لتستفتوننا استفتاءَ قومٍ كأَنَّا لا نسألُ عمَّا نُفتيكم به.

وعن محمدِ بن واسعٍ قال: أَولُ من يُدعى إِلَى الحسابِ الفُقهاءُ.

وعن مالكٍ أنّه كانَ إذا سُئِلَ عن المسألةِ كأنهُ واقفٌ بين الجنةِ والنَّارِ.

وقال بعضُ العلماءِ لبعضِ المُفتينَ: إذا سُئلْتَ عن مَسأَلة فلا يَكُنْ همُّكَ تخليصَ السائل، ولكن تخليصَ نفسكَ أَوَّلًا.

وقال لِآخرَ: إِذَا سُئلتَ عن مسألةٍ فتفَكَّر؛ فإن وجدتَ لنفسك مخرجًا فتكلّم وإلا فاسْكُتْ.

وكلامُ السلفِ فِي هذا المعنى كثيرٌ جدًّا يطولُ ذكرُه واستِقْصَاؤهُ."

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: "**النوعِ الثاني: مَن يطلبُ بالعمل والعلم والزهد الرياسة عَلَى الخلقِ والتعاظُمَ عليهم، وأن ينقادَ الخلقُ ويخضعونَ لهُ**" لاسيما وأن هذا الأمر زاد واستشرى في العصور المتأخرة من أحوال من ينتسب إلى العلم، وما يحصل لهم من جاه ومال وشرف وتعظيم في نفوس الناس، تجد هذا في نفوس الناشئة، تكون قدوتهم بهؤلاء من أجل هذا، وينشؤون على هذا، ثم يصعب عليهم التخلي عنه، لأنه وجد أعني في العقود المتأخرة من يعيش من أهل العلم عيشة الملوك حيث لا يفترق عنهم، وتجد أسرته من نساء وبنين وبنات كأُسر الأمراء، فالناس ينظرون إلى أمثال هؤلاء أنهم قدوات بالمجموع يعني بالعلم الذي أوصلهم إلى هذه المنزلة، فتجده يطلب العلم لهذا الشيء، وإذا دخل في العلم بهذه النية يصعب عليه أن يرجع عنه إلا بعناية إلهية واستدراك، ناس إلى وقت قريب أهل العلم هم أهل التواضع والمسكنة والتقلل من الدنيا لمعرفتهم بالله وما يقرب إلى الله جل وعلا، كان عند السلف: إذا وجدت مِن أهل العلم من عنده مال فاتهمه، لأن العالم الحقيقي الذي ينصرف إلى ما هو بصدده من تحصيل العلم وتعليمه والعمل به.

"**وأن ينقادَ الخلقُ ويخضعونَ لهُ ويصرفُونَ وُجوههُم إليهِ، وأن يُظهِرَ للناسِ زيادةَ علمهِ عَلَى العُلماءِ ليَعلوَ بهِ عليهِم ونحو ذلك. فهذا موعدُهُ النار**" يعني لو تدبرنا مثل هذا الكلام وطبقناه على أنفسنا وش

يصير مآلنا؟ يعني نترك العلم والتعليم لأن هذا كأنه يتحدث عنا! نسأل الله العافية، ولكن الترك ليس بعلاج لا في بداية الطلب ولا في نهايته؛ لأنه يسأل كثير من طلاب الدراسات النظامية، يقولون: حنا في كليات شرعية نطلب العلم الشرعي لكننا دخلنا هذه الكليات وهي تدرج وترقي لننال الشهادات ومن ثم الوظائف هذه نياتنا أول ما دخلنا، فهل نترك؟ لأننا بهذه النية على خطر عظيم. يقال لهم: الترك ليس بعلاج، استمر وجاهد ومثل هذا يقال العالم المعلم واقع في كثير مما يذكره أهل العلم وأنت على خطأ، لكن الترك ليس بعلاج جاهد وغير وضعك وغير نيتك لتنال الدرجات العلى، كلام خطير جدًا! "**فهذا موعده النار**" يعني معناه إننا ننزل ونترك التعليم، لا، على الإنسان أن يجاهد ويحرص على تصحيح نيته، وإذا علم الله منه صدق هذه النية يعينه، نسأل الله الإعانة.

"**لأنَّ قَصْدَ التَّكبرِ عَلَى الخلقِ مُحَرَّمٌ في نفسهِ، فَإِذَا استعملَ فيهِ آلة الآخرةِ كان أقبحَ وأَفحشَ من أن يستعملَ فيهِ آلاتِ الدُّنْيَا من المالِ والسلطانِ**" لأن من يستعمل آلات الدنيا وضعه مكشوف ما فيه مخادعة لله ولخلقه ما في مخادعة، لكن من يستعمل آلات الآخرة ويتصيد الدنيا بالدين هذا هو الإشكال الكبير، نسأل الله العافية.

يقول المؤلف رحمه الله: "**وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يُجَارِي بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يَصرِفَ وُجُوهَ الناسِ إِلَيهِ أَدْخَلَهُ الله النَّارَ) خرجه الإمام أحمد والترمذيُّ من حديث كعبِ بنِ مالكٍ، وخرجه ابنُ ماجه من حديث ابن عمرَ وحُذيفةَ وعنده: (فَهُوَ فِي النَّار).**"

وهو بمجموع طرقه يصل إلى درجة الحسن، وفيه وعيد شديد "**مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يُجَارِي بِهِ الْعُلَمَاءَ**" ينافسهم "**أَوْ يَصْرِفَ وُجُوهَ الناسِ إِلَيهِ**" لا شك أن العامة يعجبون بالعالم ويلجؤون إليه في مشاكلهم "**أَوْ يَصْرِفَ وُجُوهَ الناسِ إِلَيهِ أَدْخَلَهُ الله النَّارَ**".

"**وخرج ابن ماجه، وابن حبان في "صحيحه" من حديث جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا تَعَلِّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ العُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا لتَخَيّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ؛ فمنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنارَ النَّارَ)**" وهو في معنى الحديث السابق.

"وخرَّجه ابنُ عدَي من حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه، وزاد فيه: (وَلَكِنْ تَعَلَّمُوهُ لِوَجْهِ الله والدَّارِ الآخِرَةِ)" هذه الأحاديث بعض مفرداتها ضعيفة ولكن إذا انضمت إلى ما تقدمها يحصل لها شيء من القوة.

"وعن ابن مسعود قال: "لَا تَعَلَّمُوا العِلمَ لِثَلاثٍ: لِتُمارُوا بهِ السُّفهاءَ، أَو لتُجَادلُوا بهِ الْفُقهاءَ، أَو لِتَصرفُوا بهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيكُمْ، وابتغُوا بقوْلكُم وفعلكُم ما عندَ اللَّهِ؛ فإِنَّه يبقَى؛ وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ".

وقد ثبتَ في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم–: (إِن أَوّلَ خلق تُسَعَّرُ بهمُ النَّارُ" وقد ذكرناه في درس مضى "(إِن أَوّلَ خلق تُسَعَّرُ بهمُ النَّار مضى يومَ القيامةِ ثلاثة ...) منهُمُ العَالمُ الَّذِي قرأَ القُرْآنَ ليُقَالَ: قَارئ، وتعلَّمَ الْعلمَ ليقَالَ عَالمٌ، وأنَهُ يُقالُ لهُ: قدْ قِيلَ ذَلكَ،" قد قيل، الناس قالوا هذا عالم، وقال الناس هذا قارئ، في الدنيا "وأُمرِ بهِ فسُحبَ عَلَى وجهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ. وذكر مثلَ ذلك في المتُصدِّق" وما أكثر من يتعلم ومن يعلم ليقال عالم والأمارات والدلائل عليه والقرائن الدالة عليه ظاهرة "وذكر مثلَ ذلك في المتُصدّق ليقال إِنَّهُ جَوادٌ" يتصدق ويبذل المال الذي تعب في تحصيله من أجل أن يقال: جواد، وقد قيل لثريٍ: نريد منك صدقات للفقراء والمساكين، فقال: إن ما عندنا صداقات وليست صدقات، نسأل الله العافية، وجيء لشخص من كبار الأغنياء في مجمع ومحضر من نظرائه، فقيل له: المشروع الفلاني بحاجة لدعم، فحرر الشيك بمبلغ كبير فلما خرجوا من عنده اتصل على البنك وقال: لا تصرف، نسأل الله العافية، وش اللي حدك على هذا! " وذكر مثلَ ذلك في المتُصدّق ليقال إِنَّهُ جَوادٌ، وفي المجاهدِ" الذي يقدم مهجته ليقتل، وهو في الظاهر يزعم أنه في سبيل الله وفي باطن أمره أنه "ليقال إنه شجاع" فهؤلاء الثلاثة هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.

"وعن علي رضي الله عنه قال: يا حملةَ العِلمِ، اعملوا بهِ؛ فإنما العالمُ من عملَ بما عَلمَ، فوافقَ عملُهُ علمَهُ" نعم الثمرة العمل، وإلا مجرد العلم بدون عمل كما قيل: كالشجر بلا ثمر "وسيكون أقوامٌ يحملونَ العلمَ لا يُجاوزُ تَراقِيهم" يحملونه ليقال، لا ليعملوا به "يخالفُ عملَهم علمُهُم، وتخالفُ سريرتُهُم علانيتَهم، يجلسونَ حلقًا حلقًا فيباهي بعضُهم بعضًا" الذي يقول أنا أكثر منك طلاب، والذي يقول أنا أفصح منك عبارة، والذي يقول أنا أوضح منك شرح، أو أطول منك شرح "يباهي بعضهم بعضا، حتى إنَّ الرجلَ ليغضبُ عَلَى جليسهِ إذا جلسَ إِلَى غيرهِ ويدعُهُ" يعني هذا مثل الحلق التي في الجوامع الكبيرة كالحرمين

وغيرهما تجد الحلقة وجنبها حلقة ومنا حلقة، إذا جلس الرجل عند الشيخ ربع ساعة ورأى أن الفائدة ليست كبيرة قام وبحث عن غيره، يقول: يغضب! لماذا يقوم هذا؟ الذي يغضب يعني في نيته دخل، وإلا هو يبحث عمن ينفعه، ما وجد الفائدة عندك، مع أن الفائدة قد لا تحصل بدرس أو درسين أو مدة يسيرة.

" **حتى إنَّ الرجلَ ليغضبُ عَلَى جليسهِ إذا جلسَ إِلَى غيرِهِ ويدعُهُ، أَولئكَ لا تصعدُ أعمالُهم في مجالسهِم تلكَ إِلَى الله عز وجَل. وقال الحسنُ رحمه الله: لا يكونُ حظُّ أحدِكُم من العِلْم أن يقال عالمٌ.**" فيكون من الثلاثة.

"**وفي بعض الآثارِ أنَّ عيسى عليه الصلاة والسلامُ قال: "كيفَ يكونُ من أهلِ العلمِ من يطلبُ العِلْم ليُحَدِّثَ بهِ ولا يطلبُهُ ليعملَ به؟!**"". من أجل أن يحدث به لا ليعمل به، من أجل أن يحدث فيقال: محدث وعنده علم وعنده بذل وعنده كذا وكذا.

""**كيفَ يكونُ من أهلِ العلمِ من يطلبُ العِلْم ليُحَدِّثَ بهِ ولا يطلبُهُ ليعملَ به؟!" وقال بعضُ السلفِ: بَلغنا أَنَّ الَّذِي يطلبُ الأحاديثَ ليحدِّثَ بها لا يجدُ ريحَ الجنةِ**" وهو إنما حدث بها من دون عمل بها إنما من أجل أن يقال.

"**يعني: من ليسَ له غرضٌ في طلبهَا إلاَّ ليحدث بها دُون العملِ بها. ومن هذا القَبيلِ كراهيةُ السَّلفِ الصَّالحِ الجُرْأَة عَلَى الفُتيا والحرصَ عليها والمسارعة إليها والإكثارَ منها.**" الجرأة على الفتيا، المستفتي يدخل المدينة فيسأل الصحابي فيقول له: اذهب إلى فلان، وفي الصحيح جاء رجل إلى عبد الله بن عمر فقال له: اذهب إلى ابن عباس. ومعروف أن عامة الناس ثقتهم بما يظهر له من العالم، لا شك أنه يظهر من عبد الله بن عمر من العبادة والزهد والعمل أكثر من ابن عباس وإن كان ابن عباس أعلم، فقال له: اذهب إلى ابن عباس، فقال: ذاك رجل مالت به الدنيا ومال بها، ابن عباس مالت به الدنيا ومال بها! لكن في مقابل ابن عمر في زهده وورعه وانكفافه قد يقال مثل هذا الكلام، وإلا كلهم عباد زهاد علماء ربانيون والله المستعان، ويدخل البلد يقال اذهب إلى فلان وفلان يقول اذهب إلى فلان وينتهي من البلد ما وجد من يفتيه، لكن إذا تعينت المسألة على شخص لا يجوز له أن يتردد ويرفض، بحيث يدخل المستفتي ولا يجد من يفتيه في بلد فيه علماء أو في مؤسسة أو دائرة فيها علماء، لاسيما إذا كان هؤلاء العلماء ممن يأخذون الأجرة على هذا العمل من التعليم والفتيا وغيرها.

"**وروى ابنُ لهيعةَ عن عُبيد اللَّه بن أبي جعفر مرسلاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَجْرَؤُكُم عَلَى الْفُتْيَا أَجرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ)**" ومادام مرسلاً فهو ضعيف، ومعلوم اختلاف أهل العلم في المرسل، مع أن في سنده ابن لهيعة وهو مضعف عند الأكثر، ابن حجر ضعفه في مواضع وضعف أحاديث بسببه، وقال: إنه صدوق في التقريب، على كل حال الأكثر على تضعيفه مطلقًا وبعضهم يقوي روايته عن العبادلة، وفيه أيضًا علة أخرى وهي الإرسال، والأكثر على تضعيف المرسل، ولذا يقول الحافظ العراقي:

واحتج مالك كذا النعمان ... به (يعني بالمرسل) وتابعوهما به ودانوا

ورده جماهر النقاد ... للجهل بالساقط في الإسناد

وصاحب التمهيد عنهم نقله ... ومسلم صدر الكتاب أصله. يعني التضعيف والرد

"**وقال علقمة: كانوا يَقُولُونَ: أَجرؤُكم عَلَى الفتيا أَقلُّكم علمًا**" لأن الأكثر علم يعرف العواقب، عواقب هذه الجرأة، أما الأقل علمًا لا يستحضر مثل هذه العواقب، وأيضًا الأكثر علمًا حصل عنده من الثقة بعلمه وفي نفسه ما يردعه عن ذلك، إضافة إلى خشية الله تعالى وتقواه، والأقل علم يريد أن يبني شخصية فيخشى أن إذا تردد في الفتيا يقال: لا علم عنده، لكن إذا وُفق وبلغ من العلم ما يردعه ويوصله إلى خشية الله وتقواه فإن هذا لا يشكل عليه أن يقال لا يعرف، ولذا لما سُئل مالك عن أربعين مسألة، وقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أعلم، قال: أنت مالك إمام دار الهجرة! قال: رح قل للناس إن مالك ما يعرف، قل لهم، والله المستعان.

سؤال: يا شيخ ... بعض أساتذة الجامعة إذا سئل عن شيء لا يعرف هذا السؤال أنا سأجيب عنه في المحاضرة القادمة حتى لا يقال أنه لا يعرف؟

الشيخ: هذا حيلة، هذا أخس من الجرأة المجردة، هذا ليظهر أنه يعرف وهو لا يعرف، تربي على هذه الأمور! الآن من شيوخنا الموجودين من إذا سئل تغير لونه، إن كان قائم جلس وإن كان جالس اضطجع، يأخذ ربع ساعة ما أجاب، وبعضهم من الفتوى تجري في عروقهم مثل النفس! ما يتردد فيها.

في النسخة التي معنا "**وعن البراء**" وفي نسخة أخرى "**عبد الرحمن بن أبي ليلى**"

قال: "**أَدركتُ عشرين ومئة**" وهي بابن أبي ليلى أليق؛ عن البراء، البراء يقول أدركت عشرين ومئة من الأنصار؟ بعيد جدًا عن البراء أن يقول هذا، ابن أبي ليلى أدرك، تابعي كبير أدرك من الصحابة الكبار من أدرك، حتى ما خرج الأثر، عند الدارمي في العلم، يقول "**أَدركتُ عشرين ومئة من الأنصارِ من أصحابِ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يُسأَلُ أحدُهُم عن المسألَةِ مَا منهُم رجل إِلَّا وَدَّ أن أخاهُ كَفاهُ**" ونحن نرى في مجالس طلاب العلم من يبادر بالجواب قبل أن يُسأل، يسأل من هو أكبر منه فينبري الأقل ويبادر ليظهر للحاضرين ما عنده من علم، نسأل الله العافية.

"**وفي روايةٍ: (فيرُدُّها هذا إِلَى هذا، وهذا إِلَى هذا حتى ترجع إِلَى الأوَّلِ). وعن ابنِ مَسعودٍ رضي اللَّه عنه قال: (إِن الَّذِي يُفتِي الناسَ فِي كُل ما يَسْتَفْتُونَهُ لمجنون)**" يعني حُفظ عن شيخنا الشيخ ابن باز رحمه الله في مسائل ليست قليلة، يقول في البرامج العامة التي تذاع على العالم كله: نبحث في المسألة.

مداخلة: أحسن الله إليكم يا شيخ، في أحد حلقات برنامج نور على الدرب للشيخ ابن باز، سُئل عن تسع مسائل كلها يقول: لا أعلم، قال له المقدم: نحذفها يا شيخ؟ قال: لا لا تحذفها.

الشيخ: هذا نوع تربية لطلاب العلم.

"**وسُئِلِ عمرُ بنُ عبد العزيزِ عن مسألةٍ، فَقَالَ: ما أَنا عَلى الفُتيا بِجَرِيءٍ. وكتبَ إِلَى بعضِ عُمَّالِهِ: إِنِي واللَّه مَا أَنا بِحَرِيصٍ عَلَى الفُتيا، ما وَجدتُ منها بُدًّا**" يعني ما لم تتعين عليه، أما إذا تعينت، فإن العالم الذي يعرف الجواب لا يجوز له أن يكتمه، ومن سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة، والحديث في كلامه.

"**وليسَ هذا الأمرُ لمن ودَّ أَنَّ الناسَ احتاجُوا إِليهِ، إِنما هذا الأمرُ لمن ودَّ أَنَّهُ وَجدَ من يَكفيهِ**" يعني ما يفعل هذا من ود أن الناس يحتاجون إليه، من ود أن الناس يحتاجون إليه لن يرد أحد، إنما هذا الأمر لمن وجد من يكفيه.

"**وعنهُ أنّه قال: أَعلمُ الناسِ بالفتوى أَسكَتُهُم، وأجهلُهُم بها أَنطقُهُم**" لماذا؟ لأن العلم إنما يقود إلى طلب النجاة، نجاة النفس هذا العلم الحقيقي النافع، فأسكتهم يطلب نجاة نفسه مالم تتعين عليه، وأجهلهم أنطقهم لأنه لا يقدر لنفسه أي حساب سواء أصاب أو أخطأ فينطق بكل ما يسأل عنه.

"**وقال سفيانُ الثوريُّ رحمة اللَّه عليه: أَدركنا الفُقهاءَ وهُم يَكرهونَ أن يُجيبوا في المسائل والفُتيا**" سفيان الثوري إمام من أئمة المسلمين، صاحب مذهب متبوع كسائر الأئمة، " **أَدركنا الفُقهاءَ وهُم يَكرهونَ أن يُجيبوا في المسائل والفُتيا حتى لا يَجِدوا بُدًّا من أن يُفتُوا، وإذا أُعفُوا منهَا كانَ أَحبَّ إليهِم.**

وقال الإمامُ أحمدُ رحمه الله: مَن عرّضَ نفسَهُ لِلفُتيا فقد عَرّضها لِأَمْرٍ عَظيم" لأنه كما تقدم موقع عن الله جل وعلا، وإذا أفتى بغير علم فهو ممن كذب على الله {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ} وهؤلاء الذين جاء فيهم {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ} يدخلون في هذا.

"**وقال الإمامُ أحمدُ رحمه الله: مَن عرّضَ نفسَهُ لِلفُتيا فقد عَرّضها لِأَمْرٍ عَظيم إلاَّ أَنهُ قد تُلجئُ الضرورةُ.**

قِيلَ لَهُ: فَأَيَّمَا أفضلُ؟ الكلامُ أَمِ السُّكوتُ؟ قال: الإمساكُ أَحَبُّ إِلَيّ" هذا من ورعه رحمه الله.

"**قِيلَ لَهُ: فإِذَا كَانتِ الضرورةُ؟ فجعلَ يقولُ: الضرورةُ الضرورةُ!**"كأنه يستخف بمن يقول الضرورة في مقام الورع العظيم الذي يتصف به ويقابل طلب النجاة بحاجة غيره، ومع ذلك إذا تعينت فلا بد من أن يقوم بها أحد، لأن الفتوى من فروض الكفايات.

"**وقالَ: الإمساكُ أَسلمُ لَهُ. وليعلمِ المفتي أنهُ يوقعُ عن اللَّه أَمرهُ ونهيهُ، وأنهُ موقوفٌ ومسئُولٌ عن ذلك.**" ذكرنا أن ابن القيم رحمه الله سمى كتابه: إعلام الموقعين يعني المفتين.

"**قال الربيعُ بنُ خُثيمٍ: أيها المفتون! انظُروا كيفَ تُفتون**" لأن بعض الناس من حرصه على الجواب يجيب على السائل قبل أن يتم السؤال! من العجلة وحرصه على الجواب، بل بعضهم يجيب على السؤال وهو ما فهمه! وسُمع منْ يسأل عن شخص يضرب أباه، فأجاب: الأدب مطلوب وللوالد أن يضرب ولده ويؤدبه! العكس! كل هذا من أجل ماذا؟ العجلة في تلقف السؤال، وفي أكثر من حديث يسأل النبي صلى الله عليه وسلم فيسكت، ما يستعجل، وهو المؤيد بالوحي، يسكت، إما انتظارًا الوحي كما في بعض الوقائع، وإما ليؤدب ويعلم من يأتي بعده ويفتي الناس ألا يستعجل بالجواب.

" **وقال عمرُو بنُ دينارٍ لقتادةَ رحمهم الله لما جلس للفُتْيَا: تدري في أي عمل وقعت، وقعت بين الله وبين عباده**" يعني صرت واسطة بين الله وبين عباده، أنت تتحدث نيابة عن الله جل وعلا. "**وقلتَ: هذا**

يَصلحُ، وهَذا لا يَصلحُ" وبعض الناس إذا سئل يظن أن هذا من الورع أنه لا يقول هذا حلال وهذا حرام، يقول: هذا ما يصلح. والعلماء قالوا إن كلمة يصلح ولا يصلح بمثابة حلال وحرام (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها كلام الناس) يعني يحرم، فعلى الإنسان أن يحتاط ويضبط العبارات التي تصدر عنه.

سؤال: نقل الفتوى المفتي يا شيخ من قبيل الفتوى؟

الشيخ: نقل فتوى عالم؟

السائل: إيه نعم.

الشيخ: هذا أخف، لكن عليه أن يتثبت من هذه الفتوى، سمعها لكن يتثبت من صحتها. على كل حال إذا كان من العامة الذين ليست لديهم الأهلية لتمييز الراجح من المرجوح يكتفي بالنقل عمن تبرأ الذمة بتقليده.

"**وعن ابن المُنكدرِ قال: إِنَّ العالِمَ داخل بينَ اللَّه وبينَ خلقهِ، فلينظُرْ كيفَ يدخلُ عليهم**" وهو بمعنى ما تقدم.

"**وكان ابنُ سيرينَ إذا سُئلَ عن الشيءِ من الحلالِ والحرامِ تغيرَ لونُهُ وتبدَّلَ، حتى كأنَّه ليسَ بالذي كانَ**" الآن لو بنسأل الإنسان في امتحان من امتحان الحياة الدنيا، ويدخل قاعة الامتحان، كثير منهم يرتعد ويخاف ويتغير لونه ويتغير أحواله ويضطرب، أو يكون في مقابلة من أجل حطام دنيا إما وظيفة أو دراسة أو غيرها تجده يحصل له هذا، فكيف إذا سُئل ونصب نفسه نائبًا عن الله جل وعلا؟

"**وكانَ النَّخعيُّ يُسأَلُ فتظهرُ عليهِ الكراهةُ ويقولُ: ما وجدتَ أحدًا تسأله غيري؟!**" بعضهم ممن أدركناه إذا سئل قال: هل المسألة تخصك؟ هل هي واقعة أو غير واقعة؟ فإن كانت غير واقعة ما أجاب، لأنها حينئذ لم تتعين.

"**وقالَ: قَد تكلَّمتُ ولو وجدتُ بُدًّا مَا تكلمتُ، وإنَّ زمانًا أكونُ فيه فقيهَ الكُوفةِ لزمانُ سُوءٍ**" من الذي يقول هذا؟ النخعي! سيد من سادات التابعين، فكيف بما لو رأى زماننا ومن يتصدى ويتصدر لإفتاء الناس وتوجيههم وتعليمهم وهو أولى بهذا التوجيه من غيره.

"**ورُوِيَ عن عمر قال: إِنّكم لتستفتوننا استفتاءَ قومٍ كأَنَّا لا نسألُ عمَّا نُفتيكم به.**

وعن محمدِ بن واسعٍ قال: أَولُ من يُدعى إِلَى الحسابِ الفُقهاءُ.

وعن مالكٍ أنّه كانَ إذا سُئِلَ عن المسألةِ كأنهُ واقفٌ بين الجنةِ والنَّارِ" يخشى أن يزل فيقذف في النار والإصابة مظنونة.

"**وقال بعضُ العلماءِ لبعضِ المُفتينَ: إذا سُئلْتَ عن مَسأَلة فلا يَكُنْ همُّكَ تخليصَ السائل، وليكن**" يعني همك "**تخليصَ نفسكَ أَوَّلًا**" ولذلك تجدون بعض من يجيب إذا سئل يبحث عن المخارج التي تخرج السائل من التبعة، تجده ينظر في الأقوال وينظر في كذا من أجل ماذا؟ أن يقول للسائل ما عليك شيء، مع أن نفسه أولى بالتخليص من السائل.

"**وقال الآخرَ: إِذَا سُئلتَ عن مسألةٍ فتفَكَّر؛ فإن وجدتَ لنفسك مخرجًا فتكلّم وإلا فاسْكُتْ.**

وكلامُ السلفِ في هذا المعنى كثيرٌ جدًّا ويطولُ ذكرُه واستِقْصَاؤهُ."

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

******

الدرس السابع

مصنّفٌ في العُزلة من أبدع ما كُتِبَ في الباب، وجاء في الخُلطة أحاديث تحثّ عليها، بنيةٍ صالحة وتوجيهٍ للناس وإرشادٍ لهم وتعليم الجاهل والصبر على أذاهم لا شكّ أن مثل هذا أفضل بالنسبة لمن يقدر عليه، العُزلة والخلطة جاءت بهما النصوص، فمن كان يستطيع التأثير ولا يتأثر بما يرتكبه الناس من جرائم ومُنكرات فإن هذا تتعيّن عليه الخُلطة، والذي لا يستطيع التأثير بل يتأثر بما عندهم من ذنوب ومعاصي ومنكرات هذا تتعيّن عليه العُزلة، ومحافل المسلمين منذ قرونٍ طويلة مشتملة على شيء من المخالفات تزيدُ وتنقُص في بعض الأقطار والآفاق وفي بعض الدول، يعني المسألة مدّ وجزر، أحياناً يوجد في هذه الناحية وهذا الإقليم خير لا يوجد في بعض الأقطار وبالعكس، ومن قرأ تاريخ المسلمين عَرَف! ولذا يقول شُرّاح البخاري على حديث: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم) قالوا: والمتعيِّن في هذه الأزمان العُزلة؛ لاستحالة خلو المحافل من المعاصي والمنكرات! هذا قالوه في القرن الثامن والتاسع والله المستعان!

نعود إلى موضوعنا وهو الدخول على السلاطين، الدين النصيحة ولا تتمّ هذه النصيحة لأئمة المسلمين إلا بالوصول إليهم، أو بمخاطبتهم بالكتابة كما فعل سفيان وغيره، على كل حال الكلام الذي جاء في هذا الفصل من الكتاب وفي غيره من الكتب وما أُلِّف فيه ليس على إطلاقه! والمسألة مسألة نفع وضرر، فالذي ينفع يلزمه أن يغشى هذه المجالس ولا يتركها للصنف الثاني، وكم من مصيبة وبليّة حصلت بسبب بعض بطانة السوء، ما الذي جرّ على المسلمين الويلات في سائر العصور؟ ومن أوضحها وأشهرها دخول التتار إلى بغداد بسبب البطانة بسبب ابن العلقمي الرافضي، لو زوحم من قِبل الأخيار لقلّ شرّه! على كلّ حال أمر الله نافذ وقَدَرُه سابق، لكن ينبغي أن يُنظر إلى هذه المسألة بعين الإنصاف، وليكن العالِم أو طالب العِلم حَذِراً من أن يُدخَل عليه وهو لا يشعر! كم نفع الله بدخول بعض شيوخنا على الملوك والأمراء! كم حقن الله بسببهم من الدماء! في جهة من الجهات التي تنتسب إلى الإسلام حُكِمَ على بضعة عشر من العلماء والدعاة بالإعدام! وبكلمة من واحد من الشيوخ رحمة الله عليه عُفِيَ عنهم، في نفس ليلة التنفيذ! فالكلام ليس على إطلاقه، لكن على الإنسان أن يعرف نفسه أولاً وقبل كلّ شيء، هل هو ممن يستطيع التأثير ولا

يتأثر، هذا يُخالط، ويغشى هذه الأماكن ويزاحم الأشرار، لكن إذا كان يتأثّر، يعرف من نفسه الضعف ولا يستطيع أن يُنكر ولا يستطيع أن يُبيّن مثل هذا يعتزل.

بالنسبة لمن لا يستطيع الوصول، سألنا شيخنا الشيخ ابن باز قبل ثلاثين سنة: ما العمل الذي تبرأ به ذمة طالب العلم الذي لا يستطيع الوصول إلى الأمراء والوزراء والسلاطين، لا يستطيعون الوصول إليهم؟ قال: يكتب! قيل له: قد لا يَصِل الكتاب! قال: يُبلّغ من يَصِل إليه! وبذلك تبرأ ذمته. هذا كلام الشيخ رحمه الله.

قال رحمه الله: **"ومِن هذا البابِ أيضًا كراهةُ الدّخولِ عَلَى الملُوكِ والدُّنُوِّ منهُم، وهُوَ البَابُ الَّذِي يدخُلُ منهُ عُلماءُ الدُّنْيَا إِلَى نيلِ الشَّرفِ والرياساتِ فيها."**

سؤال: ...

الشيخ: نعم لأنه جاء الأمر بالأخذ، إذا أعطاك السلطان من بيت المال ففي الصحيح (من غير طلب ولا استشراف فخذه) بعض العلماء يُؤثم، وعمر يضرب الذي لا يأخذ، (من غير طلب ولا استشراف) ثم بعد هذا جاء قيد في صحيح مسلم (أما إذا كان ثمنًا لدينك فلا) يعني إذا غلب على ظنك أنه سيطلب منك شيء تتنازل فيه بسبب هذا هرب. على كل حال كون الإنسان يتورع ولا يأخذ هذا شيء لكن جاء الأمر بالأخذ، على كل حال المسألة مسألة موازنة إذا كان الإنسان يعرف أنه بسبب حطام الدنيا يتنازل عن شيء ويبقدم له شيء مما لا يجوز له فعله هذا عاد ...

"وخرّج الإمام أحمدُ وأبو داود والترمذيُّ والنسائي من حديث ابن عباس –رضي الله عنهم– عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ سكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنِ اتّبَعَ الصَّيدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السَّلاَطين افتُتِن)." من سكن البادية جفا يعني إذا جلس بمفرده في البراري والقفار لا شكّ أنه، لأن الأخلاق تُكتسب بالمخالطة والمعاشرة والقدوات الحسنة، لكن إذا جلس وحده! **"مَنْ سكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنِ اتّبَعَ الصَّيدَ غَفَلَ"** من شجرة إلى شجرة، تفوته الصلاة وهو ما يدري، **"ومن أتى أبواب السلاطين افتُتِن"** هذا

هو الشاهد، وهذا قلنا إنه كثيرٌ غالب، ووُجد أمثلة رائعة في تاريخ الأمة من المتقدمين والمتأخرين من الذين غشوا هذه المجالس ونفع الله بهم نفعاً عظيماً.

"وخرّج أحمد وأبو داود نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه: (وَمَا ازْدَادَ أَحَدٌ منَ السَّلْطَانِ دُنُوًّا إِلَّا ازْدَادَ منَ اللَّه بُعْدًا)."

ومثل ما قلنا السلاطين ليسوا على قلبِ رجلٍ واحد، والكثير الغالب منهم بسبب ما مُكّنوا به من الدنيا تكون أمورهم فيها ما فيها.

سؤال: ...

الشيخ: نعم الغالب، وإلا من دخل على عمر بن عبد العزيز ماذا تقول؟

سؤال: ...

الشيخ: حتى الظالم الغاشم، كلمة الحق عنده ولو قتَل؟ أليس من أعظم الشهداء؟ الشهداء اثنان: حمزة سيد الشهداء، وهذا الذي قال كلمة الحق عند سلطان جائر.

"وخرّج ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَقُولُونَ: نَأْتِي الْأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ إِلَّا الشَّوْكُ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الْخَطَايَا)."

القتاد: العصا الذي يموت فيه الشوك، وخرْطه من أشق الأمور، يعني يجرد الشوك بيده هكذا، ولذلك يقولون: دونه خرط القتاد، ولا ندري كيف سمّي قتادة قتادة؟ مِن هذا! ولكن العرب لا يهتمون للأسماء، سمّوا كلب سمّوا جُري، سمّوا أسماء كثيرة جداً، لكن هذا الحديث ضعيف على كل حال.

"وخرجه الطبراني ولفظه: (إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ يَأْتِيهُمُ الشَّيطَانُ يَقُولُ: لَو أَتَيتُمْ الْملُوكَ فَأَصَبْتُمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ واعتْزَلْتُمُوهُمْ بِدِينِكُمْ، أَلاَ وَلاَ يَكُونُ ذَلِكَ كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ إِلَّا الشَّوْك، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الْخَطَايَا)."

وهذا كسابقه ضعيف، ولكنه بمعناه.

"وخرّجَ الترمذيُّ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الحَزَنِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا جُبُّ الحَزَنِ؟ قَالَ: «وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَدْخُلُهُ؟ قَالَ: «الْقَرَّاءُونَ الْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ»."

وهذا أعم من أن يكون هذه المراءاة لسلطانٍ أو غيره.

"وخَرَّجَ ابن ماجه نحوه وزاد فيه: (وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الْقُرَّاءِ إِلَى اللَّه الَّذِينَ يَزُورُونَ الْأُمَرَاءَ الْجَوَرَةَ)."

هذا قيد (الجَوَرة).

"ورُوى من حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه. ومِنْ أَعظمِ ما يُخشى عَلى من يَدخلُ عَلَى الملُوكِ الظلمة أَن يُصدِّقهم بِكَذِبهم، ويُعينَهُم عَلَى ظُلمهم ولو بالسكوتِ عن الإنكارِ عليهم، فإنَّ من يرُيدُ بدُخولهِ عليهم الشَّرفَ والرّياسةَ وهو حريصٌ عليهما لَا يقدمُ عَلَى الإنكارِ عليهم"

لأنه إذا أنكر عليهم وهم ظلمة وهو يريد شرف ورياسة، يحصل له خلافها، وإن طلب الشرف والرئاسة ممن ورائهم إذا خرج وعرف الناس أنه هذا أنكر في مجلس السلطان وارتفع عندهم شأنه، هذا مراءاة، إذا كان يقصد هذا.

"بل رُبَّمَا حَسَّن لهم بعضَ أفعالهم القبيحة تقربًا إليهم لِيحسُنَ موقعُهُ عندهُم، ويُساعدُوه عَلَى غرَضِهِ. وقد خَرَّجَ الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ والنسائي وابن حبانَ في "صحيحه" من حديثِ كعبِ بن عُجرةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سيكونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ؛ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الحَوْضَ)."

هذا الحديث ضعيف لكن سَيَرِد له شواهد.

"وخرّج الإمامُ أحمدُ معنى هذا الحديث من حديث حذيفةَ وابن عُمرَ وخبَّابِ بن الأرتِّ وأبي سعيد الخُدريِّ والنُّعمانِ بن بشير رضي الله عنهم."

هذه شواهد لهذا الحديث يتقوّى بها.

"وقد كان كثير من السلفِ ينهونَ عن الدخولِ عَلَى الملوكِ لمن أراد أمرهُم بالمعروفِ ونَهيهُم عن المنكر أيضاً."

من أراد يدخل بهذه النية!

"وممَّن نهى عن ذلك: عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ وابنُ المباركِ والثَّوريُّ وغيرُهم من الأئمةِ رحمهم الله."

وهذا زيادة في التحرّي والاحتياط؛ لأنه قد يدخل بهذه النية وتتغير فيما بعد.

سؤال: يا شيخ من يدخل بنية الإنكار فيه مصلحة عامة وقد يقع ضرر خاص، هل نقول الضرر الخاص مقدم؟

الشيخ: قد لا تتمكن، تكون نيتك صالحة تدخل وقد لا تستطيع وهذا حال كثير من الناس يدخل بهذه النية، نعم المصلحة مظنونة.

"وقال ابنُ المبُارَكِ –رحمه الله–: ليسَ الأَمرُ الناهِي عندَنا من دَخلَ عليهم فأمرهُم ونهاهُم، إنَّمَا الآمرُ الناهي من اعتزلهُم."

وهذا لا شكّ أنه من باب التحرّي والاحتياط، وإلا من غلب على ظنه أو آنس من نفسه أنه يستطيع هذا الأمر قد يتعيّن عليه لاسيّما إذا لم يوجد من يقوم به.

"وسببُ هذا ما يُخشَى من فتنةِ الدخولِ عليهم، فإنَّ النَفسَ قد تُخيلُ للإنسانِ إذا كانَ بعيدًا عنهُم أنهُ يأمرُهم"

والإنسان يزوّر في نفسه كلام في كثير من المواطن عند من هو دون هؤلاء، من أصحاب الجاه الشرف والمال وهكذا بيقول لهم وبينصحهم وكذا، وقد يُزوّر في نفسه سؤالاً لعالِمٍ! فإذا وصل للموقع ذاب كل شيء، تبخر، فكيف إذا دخل على الملوك؟

"فإن النفس قد تُخيّل للإنسان أنه إذا كان بعيداً عنهم أنه يأمرهم وينهاهم ويُغلظ عليهم. فَإِذَا شاهدهُم قريبًا مالتِ النَّفسُ إليهم؛ لأنَّ محبةَ الشَّرفِ كامنة في النفس، والنفسُ تُحسِّنُ له ذلك ومداهنتهم وملاطفتهم، وربما مالَ إليهم وأحبَّهُم"

المداهنة لا شكّ بتحريمها، وهي الموافقة على الباطل أو كتم الحق، هناك فرق بين المداهنة والمداراة، كون الإنسان يداري شيء، وكونه يداهن شيء الآخر، الذي يسمونه (المجاملة) يجامل وييسّر بعض الأمور التي لا ضرر فيها ولا يُرتكب فيها محظور ولا يُترك فيها واجب بل يكون في إطار المستحبات أو فعل المكروهات، هذه مجاملة، مداراة، بخلاف المداهنة التي يُرتكب فيها المحظور ويُترك فيها المأمور {وَدُّوا لَو تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} وأما المداراة فهي جائزة، النبي عليه الصلاة والسلام قال في حق شخصٍ: بئس أخو العشيرة، فلمّا دخل عنده أَنِس به وباسطه في الكلام، فقالت له عائشة: أنت قلت كذا والذي حصل خلاف ذلك! هذه مداراة وليست مداهنة.

"وربما مالَ إليهم وأحبَّهُم، ولا سيما إِن لاطفُوهُ وأكرموهُ وقبل ذلك منهم"

أحد طلاب العلم داخل على أمير من الأمراء في مسألة، ويوم دخل استقبله الأمير هو ما توقع هذا، يقول تفضل يا شيخ تفضل يا شيخ، يقول حتى أنا ما كلمته في الموضوع الذي جئت لأجله، ثم بعد ذلك قررتُ ألا أدخل مرة ثانية؛ لأنني امتحنتُ نفسي في هذا الموقف فرسبت.

" ولا سيما إِن لاطفُوهُ وأكرموهُ وقبل ذلك منهم، وقد جرى ذلك لابن طاووسٍ" عبد الله بن طاوس بن كيسان رحمه الله **"مع بعض الأُمراءِ بحضرةِ أبيهِ طَاووسٍ فوبَّخَهُ طاووسٌ عَلَى فعلهِ ذلكَ."** كأنه برر موقف لسلطان أو لان له السلطان فمالت نفسه إليه فوبّخه أبوه.

"وكتبَ سُفيانُ الثوريُّ رحمه الله إِلَى عبَّادِ بن عَبَّادٍ رحمه الله وكانَ في كتابهِ:
(إِيَّاكَ وَالأُمراءَ أن تدنُو منهم أو تُخالطهم في شيء من الأشياءِ، وإياكَ أن تُخدَعَ ويقالُ لك: لتشفعَ وتدرأَ عن مظلومٍ أو تردَّ مظلمةً؛ فإن ذلك خديعةُ إبليسَ"

كأنه يعرف من حال عباد بن عباد أن هذا واقعه إذا حصل منه ذلك، وإلا يوجد من يدخل بهذه النية ويقوى على فعلها.

"وإنما اتَّخذها فُجَّارُ القُرَّاءِ سُلمًا" يعني الاقتناص دنيا، نسأل الله العافية.

"**وما كُفيتَ من المسألةِ والفُتيا فاغتنمِ ذلك**" كما تقدّم إذا وُجِد من يقوم بالواجب واجب إجابة السائل وتوجيه الجاهل لا شكّ أنه المسألة فرض كفاية إذا وجد من يكفي اغتنم ذلك.

"**ولا تُنافسهم، وإياكَ أن تكونَ كمن يُحبُّ أن يُعملَ بقولِهِ أو يُنشر قولهُ**"

يعني قول: أفتى به جمع من أهل العلم فلان وفلان وفلان وفلان هل تحب أن يذكر اسمك مع هؤلاء؟ أو مادام ظهر الحق وبان الحكم ماله داعي، ولذا يقول الشافعي رحمه الله: وَدِدتُ أن يجري الحق على لسان غيري ولا ينسب لي.

"**أو يُسمع قولُهُ، فَإِذَا تُركَ ذلك منه عُرفَ فيه**"

يعني: لو بيصدر فتوى جماعية ثم يسقط اسم واحد منهم في الكتابة أو في الطباعة، ماذا يكون في نفسه؟ هنا يقع الكلام.

" **فَإِذَا تُركَ ذلك منه عُرفَ فيه، وإياك وحُبَّ الرئاسة، فإنَّ الرجلَ يكونُ حُبُّ الرئاسةِ أحبَّ إِلَيْهِ من الذهب والفضةِ**"

كثيرٌ من الناس الشرف عنده أحب عليه من المال، ولذلك يبذل الأموال لينال الشرف والرياسة، ويبذل الرشاوة الطائلة من أجل أن يصل للمنصب، نسأل الله العافية.

"**وهو بابٌ غامضٌ**" دقيق خفي! "**لا يُبصرُهُ إلاَّ البصيرُ من العُلماءِ السَّماسرةِ**" السماسرة: أي الحذّاق، السماسرة المتبصرين في الأمور. "**فتفقَّد بقلبٍ**" واعٍ "**واعمل بنيَّةٍ**" خالصةٍ صالحة "**واعلم أَنَه قد دنا من النَّاسِ أمرٌ يشتهي الرجلُ أن يموتَ، والسلامُ).**" يعني في آخر الزمان يمرّ المسلم بصاحب القبر ويتمنى أنه مكانه، ونعوذ بالله من الفتن، في الدعاء: وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون.

سؤال: ...

الشيخ: رخصة تكون رخصة، لكن لا يجمع العلماء على السكوت، ولذلك لو سكت الإمام أحمد في مسألة خلق القرآن لكان والعلم عند الله أنه إلى الآن مقرر، لكن لما حمل هذا الواجب وتحمله عن الأمة وتحمل المشقة والضرب والسجن، رفعه الله في الدنيا والآخرة ورفع عن الأمة هذه الغُمة.

المتن:

"ومن هذا البابِ أيضاً كراهةُ أن يُشهرَ الإنسانُ نفسهُ للناسِ بالعلم والزهدِ والدِّينِ، أو بإظهارِ الأعمالِ والأقوالِ والكراماتِ ليزار وتُلتمَسَ بركتُهُ ودُعاؤُه، وتقبيل يدُهُ وهُو مُحبٌّ لذلكَ ويُقِيمُ عليهِ ويفرحُ به أو يَسعى في أسبابهِ. ومن هنا كانَ السلف الصالحُ يكرهونَ الشُّهرةَ غايةَ الكَراهةِ، منهُم: أيوبُ والنخعيُّ وسفيانُ وأحمدُ وغيرُهم من العلماءِ الربَّانيينَ، وكذلك الفُضَيلُ وداود الطَّائيُّ وغيرُهما من الزُّهَّادِ والعارفِينَ، وكانوا يذُمُّونَ أنفسهُم غايةَ الذمّ ويسترون أعمالهُم غايةَ السَّترِ.

دخلَ رجلٌ عَلَى داودَ الطائيّ فسألهُ –رحمه الله– ما جاء به؟ فَقَالَ: جئت أزورك. فَقَالَ: أمَّا أنتَ فقد أصبتَ خيرًا حيثُ زُرتَ في الله، ولكن أنا أنظرُ ماذا لقيتُ غدًا إذا قيل لِي: من أنتَ حتَّى تُزارَ؟ من الزهَّادِ أنتَ؟ لَا والله. من العُبَّادِ أنتَ؟ لَا واللَّه. من الصالحينَ أنت؟ لَا واللَّه وَعدَّدَ خصالَ الخيرِ عَلَى هذا الوجهِ، ثُمَّ جعَل يُوبّخُ نفسُه، فيقول: يا دَاودُ! كنتَ في الشَّبيبةِ فاسقًا، فلمَّا شِبتَ صِرتَ مُرَائِيًا، والمُرائي أشرُّ من الفَاسقِ.

وكان محمدُ بنُ واسعٍ يقولُ: لو أنَّ للذنوبِ رائحةً ما استطاعَ أحد أَن يُجَالِسَني.

وكان إبراهيمُ النخعيُّ إذا دخلَ عليهِ أحدٌ وهو يقرأُ في المصحفِ غَطَّاهُ.

وكانَ أُويسٌ وغيرُه من الزُّهَّادِ إذا عُرفوا في مكَانٍ ارتحلُوا عنهُ.

وكان كثيرٌ منَ السلفِ يَكرهُ أن يُطلَبَ منهُ الدُّعاءُ، ويقولُ لمن يسألهُ الدُّعاء: أَمِنِّي أنا؟!

وممَّنْ رُوِيَ عنهُ ذلك عمرُ بنُ الخطابِ وحذيفةُ بن اليمان رضي الله عنهما، وكذلك مالكُ بنُ دينارٍ.

وكان النخعي يَكرهُ أن يُسألَ الدُّعاء.

وكتبَ رجلٌ إِلَى أحمدَ يسألُهُ الدعاءَ فَقَالَ أحمدُ: إذا دعونا نحنُ لهذا، فمن يدعُو لَنا؟!

وَوُصفَ بعضُ الصالحينَ واجتهادَهُ فِي العبادةِ لبعضِ الملُوكِ فَعزمَ عَلَى زيارتهِ، فبلغَهُ ذلكَ فجلسَ عَلَى قَارِعة الطريقِ يأكُلُ، فَوافَاهُ الملكُ وهُو عَلَى تِلكَ الحالةِ، فَسلَّمَ عليهِ، فَردَّ عليهِ السلامِ، وجعل يأكُلُ أكلًا كثيرًا ولا يَلتفتُ إِلَى الملكِ، فَقَالَ الملكُ: ما فِي هذا خيرٌ، ورَجعَ. فَقَالَ الرجلُ: الحمدُ لله الَّذِي رَدّ هذا عَنِّي وهو لائمٌ.

وهذا بابٌ واسعٌ جدًّا.

وها هنا نُكتةٌ دقيقة، وهي أن الإنسانَ قد يذُمُّ نفسهُ بين الناسِ يُريدُ بذلك أن يُرِي أَنه مُتواضعٌ عندَ نفسهِ، فيرتفعُ بذلكَ عندَهُم ويمدحُونَهُ بهِ، وهذا من دَقائقِ أبوابِ الرِّياءِ وقد نَبَّه عليهِ السلفُ الصالحُ.

قال مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله بن الشِّخِّير: كَفى بالنفس إِطراءً أَن تَذُمَّهَا عَلَى الملأ، كأنك تُريدُ بذمِّها زينتَهَا، وذلك عند الله سَفَهٌ."

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: "ومن هذا البابِ أيضاً كراهةُ أن يُشهرَ الإنسانُ نفسهُ للناسِ بالعلم والزهدِ والدِّين، أو بإظهارِ الأعمالِ والأقوالِ والكراماتِ" لا شكّ أن هذا من أظهر صور الرياء، إذا أراد أن يُظهِر للناس ما عنده من الخَفِي! هذا رياء، فكيف إذا كان مُدّعياً ذلك من أقوال وأفعال، وهو في حقيقة الأمرِ على خلافها "أن يُشهرَ الإنسانُ نفسهُ للناسِ بالعلم والزهدِ والدِّين، أو بإظهارِ الأعمالِ والأقوالِ والكراماتِ" وذلك إذا كانت عنده وهي خفيّة من أجل: "ليزار وتُلتمَسَ بركتُهُ ودُعاؤُه، وتقبيل يدُهُ وهُو مُحبٌّ لذلكَ ويُقِيمُ عليهِ ويفرحُ به أو يَسعى في أسبابهِ." يعني لو قُدّر أنه ما جرأ أن يُظهر شيء، يوحي إلى أحد أن يظهره، نسأل الله العافية. "ومن هنا كانَ السلف الصالحُ يكرهونَ الشُّهرةَ غايةَ الكَراهةِ" إذا عُرِف عنه شيء غيّره! إذا صام دهّن وجهه ويديه كأنه آكل. "منهُم: أيوبُ" السختياني "والنخعيُّ وسفيانُ" الثوري، هذا إذا أطلق في هذا الباب هو مشهور به، أشهر من سفيان بن عيينة، والثاني ليس ببعيد منه "وأحمدُ وغيرُهم من العلماءِ الربَّانيينَ" هؤلاء علماء وفي الوقت نفسه مثال ورع وزهد وعبادة

"وكذلك الفُضَيلُ وداود الطَّائيُّ وغيرُهما من الزُّهَّادِ والعارفينَ" يعني وإن كانوا في المرتبة العلمية أقل، لكن يريد أن يذكر الأصناف من أهل العلم وغيرهم رحمهم الله.

"وكانوا يذُمُّونَ أنفسهُم غايةَ الذمّ ويسترون أعمالهُم غايةَ السَّترِ.

دخلَ رجلٌ عَلَى داودَ الطائيّ فسألهُ –رحمه الله– ما جاء به؟ فَقَالَ: جئت أزورك. فَقَالَ: أمَّا أنتَ فقد أصبتَ خيرًا حيثُ زُرتَ في الله، ولكن أنا أنظرُ ماذا لقيتُ غدًا إذا قيل لي: من أنتَ حتَّى تُزارَ؟" يزدري نفسه "من الزهَّادِ أنتَ؟ لَا والله. من العُبَّادِ أنتَ؟ لَا واللَّه. من الصالحينَ أنت؟ لَا واللَّه وَعدَّدَ خصالَ الخيرِ عَلَى هذا الوجهِ، ثُمَّ جعَل يُوبّخُ نفسُه، فيقول: يا دَاودُ! كنتَ في الشَّبيبةِ فاسقًا، فلمَّا شِبتَ صِرتَ مُرَائيًا، والمُرائي أشرُّ من الفَاسقِ." ازدراء النفس وعدم إظهار منزلتها لا شكّ أن هذا مطلوب ونوعٌ من التواضع، أحياناً يفهم منه السامع خلاف مقصد هذا المزدري، وأحياناً يكون الأمر نوعُ مبالغة وقرب من القنوط، تعبّد شخص سبعين سنة، سبعين سنة يتعبد وهو في ذلك كله لا يسأل الله الجنة وإنما يكتفي بالتعوذ من النار، يقول جنة أنا منب كفو جنة لكن يكفيني أن أنجو من النار، ويتعبد سبعين سنة، مثل هذا إلى القنوط أقرب، هذا ليس من هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام سأل الجنة وأمر بسؤال الجنة، بل أمر بسؤال الفردوس عليه الصلاة والسلام، يُقابل ذلك من يوسع في باب الرجاء ويرى من نفسه أنه فعل ما لم يفعله المتقدمون والمتأخرون، إذا جلس في المسجد وقرأ جزء حرّك الباب ظنهم الملائكة جاؤوا ليسلّموا عليه، المسألة لا هذا ولا هذا، هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام التوسّط، لا يأس ولا قنوط ولا أمن من مكر الله.

"وكان محمدُ بنُ واسعٍ يقولُ: لو أنَّ للذنوبِ رائحةً ما استطاعَ أحد أَن يُجَالِسَنِي."

في أرجوزة أبي العتاهية التي تشتمل على الحِكَم الكثيرة، قالوا فيها ٤٠٠ حكمة، الذي يقول: لتموتنّ ولو عُمّرت كما عُمّر نوح... إلى أن قال: لَطَف اللهُ بنا أن الخطايا لا تفوحْ، يعني ليس لها رائحة وهذا من لُطف الله جل وعلا. وفي نونيّة القحطاني: واللهِ لو علِموا قبيح سريرتي...لأبى السلام علي من يلقاني!

"وكان إبراهيمُ النخعيُّ رحمه الله إذا دخلَ عليهِ أحدٌ وهو يقرأُ في المصحفِ غَطَّاهُ."

نعم القراءة في المصحف مرجّحة عند أكثر العلماء، لكن ما الذي يترتب عليها؟ والقراءة من الحفظ يحصل بها الأجر المرتب على القراءة وهي أقرب إلى السرّ والخفاء، ولذا إبراهيم النخعي وهو من أئمة وسادات التابعين إذا دخل عليه أحد وهو يقرأ المصحف غطّاه.

"**وكانَ أُويسٌ**" أويس بن عامر القَرَنِي الذي جاءت منقبته في صحيح مسلم، وأُمِرَ عمر أن يطلب منه الاستغفار والقصة في الصحيح.

" **وكانَ أُويسٌ رحمه الله وغيرُه من الزُّهَّادِ إذا عُرفوا في مكَانٍ ارتحلُوا عنهُ.**" الآن كون العالِم وطالب العلم يغشى مكان واحد وُعرَف فيه من أجل أن يتردد عليه الناس ويقضي حوائجهم ويُجيب عن أسئلتهم ومشاكلهم، الأمور بمقاصدها، ولكن هذا فَرع عما تقدّم في مسألة تدافع الفتيا ووجود من يكفيه فيها أنه يفرح بمن يتحمّل عنه المسؤولية.

"**وكان كثيرٌ منَ السلفِ يَكرهُ أن يُطلَبَ منهُ الدُّعاءُ، ويقولُ لمن يسألهُ الدُّعاء: أَمِنّي أنا؟!**" أو يقول: أيّ شيء أنا! كما في النسخة الأخرى. "**وممَّنْ رُويَ عنهُ ذلك عمرُ بنُ الخطابِ وحذيفة**" مع أنه طلب من أويس القرني أن يستغفر له عمر رضي الله عنه وعلى جلالة قدرة.

"**وحذيفةُ بن اليمان رضي الله عنهما وكذلك مالكُ بنُ دينارٍ رحمه الله.**

وكان النخعي يَكرهُ أن يُسألَ الدُّعاء.

وكتبَ رجلٌ إِلَى أحمدَ رحمه الله يسألُهُ الدعاءَ فَقَالَ أحمدُ: إذا دعونا نحنُ لهذا، فمن يدعُو لَنا؟!"

كل هذا من باب التواضع، وإلا هؤلاء خِيَار ترجى إجابة دعوتهم إذا دعَوا لمن سألهم، والملَك يقول: ولك بمثله، لا سيّما إذا كان في ظهر الغيب حصل الخير للداعي والمدعو له، لكن هذا من باب الزيادة في هضم النفس، وقد عُرِفوا بذلك.

"**وَوُصفَ بعضُ الصالحينَ واجتهادَهُ في العبادةِ لبعضِ المُلوكِ فَعزمَ عَلَى زيارتهِ، فبلغَهُ ذلكَ**" بلغ ذلك الرجل الصالح أن الملك سيزوره "**فجلسَ عَلَى قَارِعة الطريقِ يأكُلُ**" من أجل ماذا؟ ليُظهِر أنه ليس بذي مروءة ولا يستحق الزيارة وأنه في الغفلة أو ما هو أشد منه أقرب.

" **فجلسَ عَلَى قَارِعة الطريقِ يأكُلُ فوافَاهُ الملكُ وهُو عَلَى تِلكَ الحالةِ، فَسلَّمَ عليهِ، فَردَّ عليهِ السلامِ، وجعل يأكُلُ أكلًا كثيرًا**" بِشَره ونَهم من أجل أن يقول الملك هذا لا خير فيه ما يسوى من يزوره "**ولا**

يَلتفتُ إِلَى الملكِ، فَقَالَ الملكُ: ما في هذا خيرٌ، ورَجعَ. فَقَالَ الرجلُ: الحمدُ لله الَّذِي رَدّ هذا عَنّي وهو لائمٌ. وهذا بابٌ واسعٌ جدًّا."

يعني كثير من السلف عند زيارة الملوك تتغير أحوالهم وقد يتصرفون تصرفات تحطّ من قيمتهم في نظر هذا الزائر، لكن مع ذلك ينصحونهم، وقصة هارون الرشيد مع سفيان الثوري معروفة مسطّرة، وعلى كل حال كأن هذا بالنسبة لنا أساطير، يعني لا نستوعبه فضلاً عن يخطر على البال تطبيقه، نسأل الله اللطف.

" الحمدُ لله الَّذِي رَدّ هذا عَنّي وهو لائمٌ. وهذا بابٌ واسعٌ جدًّا."

قال رحمه الله: **"وها هنا نُكتةٌ دقيقة، وهي أن الإنسانَ قد يذُمُّ نفسهُ بين الناسِ يُريدُ بذلك أن يُرِي أَنه مُتواضعٌ عندَ نفسهِ"**

يذم نفسه بما يُعرف بخلافه، هذا ماذا يريد؟ إذا قال أبدًا أنا ما أفعل كذا وهو يفعل، والناس يعرفون كلهم أنه يفعل، أو أنه يفعل كذا والناس تعرف أنه من أبعد الناس عنه، لا شك أن الأمور بمقاصدها إذا كان يريد عمل، يمكن إخفاؤه، يعرف الناس أنه خلف الإمام في كل الأوقات، ويقول: أكثر الأوقات لا أدرك الجماعة! ماذا سيقولون؟ هو إذا أخفى شيء ظاهر أحياناً شخص يدّعي أنه يفعل كذا والأمة مُجمِعة على أنه خلاف ذلك ومعروف بهذا، مثل مَن يخفي أنه ذكر، مثلاً، الناس تعرف أنه ذكر، وهو يخفي أنه يصلي في المسجد مع الجماعة والناس يشوفونه يتردد كل وقت، هل يُقال أن هذا من باب التواضع وكتمان العمل؟ وبعضهم يتكايس وينفي أشياء متعددة يدخل بينها من يعرف الناس أنه متلبس به! يفعل كذا وكذا وكذا صحيح؟ بعضها صحيح وبعضها يعرف الناس أنه ليس بصحيح! مثل الشريطية في المعارض، إذا عرض السيارة قال فيها كذا وكذا وكذا في شيء يشوفونه الناس وليس بصحيح ما فيها، من أجل ماذا؟ أن يغطي الصحيح، وما دام ما صدق في هذا فالأمور الثانية يمكن أنها بعد ليست صحيحة، هذا باب دقيق جداً ولا يعرفه إلا سلف الأمة وأئمتها.

سؤال: ...

الشيخ: ابن القيم رحمه الله لما ذكر طبقات الناجين، وأنهم الأبرار والمقربون والمخلِّطون أرفعهم درجة المقربون، وشرح برنامج الأبرار وما يصنعونه من أعمال صالحة في بداية اليوم إلى نهايته، ثم أراد أن يشرح حال المقربين أو شرحه لا أدري قال ذلك قبل أو بعد، قال إنه ما شم لهم رائحة، وهو من العباد، لكن ما دام يشمله الأول يهون الأمر، يعني أنت لو قيل لك: من أي طبقة أنت؟ تبي تقول من الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن يعفو عنهم، وهذا واقع عندك خير كثير ولست بالمعصوم، لكن ما تستطيع أن تقول أنا من الأبرار، ولا يستطيع أن يقوله ولو كان منهم، من باب التواضع، فابن القيم نفى مرتبة المقربين وما نفى مرتبة الأبرار، على كل حال، نسأل الله أن يلطف بنا.

"وها هنا نُكتةٌ دقيقة، وهي أن الإنسانَ قد يذُمُّ نفسهُ بين الناسِ يُريدُ بذلك أن يُرِي أَنه مُتواضعٌ عندَ نفسهِ، فيرتفعُ بذلكَ عندَهُم ويمدحُونَهُ بهِ، وهذا من دَقائقِ أبوابِ الرِّياءِ وقد نَبَّه عليهِ السلفُ الصالحُ. قال مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله بن الشِّخِّير: كَفى بالنفس إِطراءً أَن يذُمَّهَا عَلَى الملأ، كأنك تُريدُ بذمِّها زينتَهَا، وذلك عند الله سَفَهٌ."

لأنه من يخادع، يخادع الله، والعياذ بالله!

سؤال: ...

الشيخ: هذا شاب تعين مدرس في هجرة بدو، وما شاء الله اجتهد معهم وعلمهم مبادئ العلوم وحفظهم شيء من القرآن ومدري إيش، جاء نقله، وأراد أن يودعهم فقال: يا إخوان تراي مقصر ومذنب وهذا الي تشوفونه شيء يعني ما يقابل الذي نرتكبه، المهم أنه أكثر من هذا، هم ما يستوعبون هذا الكلام خذوا كلامه بالقبول، قالوا تضحك علينا يالخبيث، كل هالمدة على أنك زاهد وعابد وطالب علم، لا يستوعبون مثل هذا الكلام. والله المستعان، الله يعفو ويسامح، الله يعاملنا بالعفو.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

******

الدرس الثامن والأخير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:

"وقد تبيَّن بما ذكرنا أن حبّ المال والرياسةِ، والحرصِ عليهما يُفسدُ دينَ المرءِ حتى لا يبقى منهُ إلا ما شاءَ الله، كما أخبرَ بذلك النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وأَصلُ محبةِ المال والشَّرفِ. من حُب الدُّنْيَا، وأصل حُبِّ الدُّنْيَا اتّباعُ الهوى.

قال وهبُ بنُ مُنبِّه: من اتّباع الهوى الرغبةُ في الدُّنْيَا، ومن الرغبةِ فيها حُبِّ المالِ والشَّرفِ، ومِن حُبِّ المالِ والشَّرفِ استحلالُ المحارمِ.

وهذا كلامٌ حَسَنٌ؛ فإنه إنَّمَا عُتِبَ عَلَى صاحبِ المالِ والشَّرفِ الرغبةَ في الدُّنْيَا، وإنما تَحصُلُ الرغبةُ في الدُّنْيَا من اتِّباع الهَوى؛ لأنَّ الهوى دَاعٍ إِلَى الرغبةِ في الدُّنْيَا وَحُبِّ المالِ والشَّرفِ فيها، والتقوى تمنعُ من اتّباعِ الهوى وتردعُ عن حُبِّ الدُّنْيَا.

قال الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}.

وقَد وَصفَ الله تعالى أَهلَ النارِ بالمالِ والسلطانِ في مَواضعَ مِن كِتابهِ، فَقَالَ تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ}.

واعلمْ أَن النَّفسَ تُحبُّ الرِّفعَةَ والعُلوَّ عَلَى أَبناءِ جنسِهَا، وَمن هُنا نشأَ الكِبرُ والحسدُ، ولكن العاقلَ يُنافسُ في العُلوِّ الدائم الباقي الَّذِي فيهِ رضوانُ اللَّه وقُربُهُ وجِوارُهُ، ويَرغَبُ عن العُلوِّ الفاني الزَّائلِ، الَّذِي يعقُبُهُ غَضبُ اللَّه وَسخطُه، وانحطاطُ العبدِ وسُفُولُه وبعدُهُ عَن الله وطردُهُ عنه، فهذا العُلوّ الفاني الَّذِي يُذَمَّ، وهو العتُوُّ والتكبرُ في الأرض بغيرِ الحَقّ.

وأما العُلوُّ الأوَّلُ والحرصُ عليهِ فهو محمودٌ.

قال الله تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}.

وقال الحسن: إِذَا رَأَيتَ الرَّجلَ يُنافسك في الدُّنْيَا فنافِسْهُ في الآخرةِ.

وقال وُهَيبُ بنُ الوَرْدِ: إِن استطعتَ أَن لَا يسبقَكَ إِلَى الله أَحدٌ فافعلْ.

وقالَ محمدُ بنُ يوسف الأصبهاني العابدُ: لو أَنَّ رجلاً سَمِعَ برجلٍ أو عَرفَ رجلًا أطوعَ للَّه منهُ فَانصدعَ قلبُهُ لم يكن ذلكَ بِعجبٍ.

وقال رجلٌ لمالكِ بن دينارٍ: رأيتُ في المنام مناديًا يُنادي: أيها الناسُ، الرحيل، الرحيلَ، فَما رأيتُ أحدًا ارتحل إلا محمدُ بنُ واسعٍ، فصاحَ مَالكٌ وغُشِيَ عليهِ.

ففي دَرجاتِ الآخرةِ الباقيةِ يَشرُعُ التنافسُ وطلبُ العُلوِّ في مَنازِلها، والحرصُ عَلَى ذلك بالسعيِ في أسبابِهِ، وألا يقنع الإنسانُ منها بالدُّونِ مَع قُدرتهِ عَلى العُلوّ.

وأما العلوُّ الفاني المنُقطعُ الَّذِي يعقب صاحبَهُ غدًا حَسرةً وندامةً وذِلَّةً وهَوانًا وصغارًا، فهو الَّذِي يشرعُ الزهدُ فيه والإعراضُ عنهُ.

وللزهدِ فيه أسبابٌ عديدةٌ:

فمنها: نظرُ العبدِ إِلَى سُوءِ عاقبةِ الشَّرفِ في الدُّنْيَا بالولايةِ والإمارةِ لمن لا يُؤدِّي حقَّها في الآخرةِ، ومنها: نظر العبد إِلَى عُقوبةِ الظَّالمينَ والمكذبين، ومن يُنازعُ اللَّه رِدَاء الكبرياءِ.

وفي "السُّنن" عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ: بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ: طِينَةَ الخَبَالِ».

وخرجه الترمذيُّ وغيرُه من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم–.

وفي روايةٍ لغيرهِ مِن وَجهٍ آخرَ في هذا الحديث: "يَطَؤُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ".

وفي رواية أخرى من وجه آخر: "يَطَؤُهُم الجِنُّ وَالْإِنْسُ وَالدَّوَابُّ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى يَقْضِيَ الله بَيْنَ عِبَادِهِ".

واستأذنَ رَجل عُمرَ –رضي اللَّه عنه– في القَصصِ عَلَى الناس فَقَالَ له: إِني أَخافُ أن تَقُصَّ عليهم فترتفع عَليهِم في نَفسكِ حَتَّى يَضَعَكَ اللَّه تَحْتَ أَرْجُلهمْ يومَ القيامةِ.

ومِنها: نَظرُ العبدِ إِلَى ثَوابِ المتَواضعينَ للَّه في الدُّنيا بالرِّفعةِ في الآخرةِ؛ فإنه من تواضعَ لله رفَعَهُ.

ومنها –وَلَيس هُو في قُدرَةِ العبدِ، ولكنَّهُ من فضلِ اللَّه ورَحمتِهِ–: مَا يُعوّضُ الله عِبادهُ العارفين به، الزاهدينَ فيمَا يفنى مِنَ المالِ والشَّرفِ، ممَّا يُعجِّلُهُ الله لهم في الدُّنْيَا مِن شرفِ التَّقوى وهيبةِ الخلقِ لهم في الظَّاهرِ، ومن حلاوةِ المعرفةِ والإيمان والطَّاعةِ في الباطن.

وهي الحياةُ الطيِّبةُ التي وعدهَا الله لمن عَمِلَ صالحًا من ذكير أو أُنثى وهُو مُؤمنٌ، وهذهِ الحياةُ الطيِّبةُ لم يذُقها الملوكُ في الدُّنْيَا ولا أَهلُ الرئاساتِ والحرصِ عَلَى الشَّرفِ، كما قالَ إبراهيمُ بنُ أَدهمَ.

لو يعلمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحنُ فيه لجالدونا عليهِ بالسيوفِ.

ومن رزقهُ الله ذلك اشتغلَ به عن طلبِ الشَّرفِ الزائلِ والرئاسةِ الفانية.

قال الله تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}.

وقال: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}.

وفي بعض الآثار: يقول الله عز وجل: "أَنَا العَزيزُ؛ فمن أرادَ العزّ فليُطِعِ العَزيزَ، وَمَن أَرادَ عزَّ الدُّنيا وَالآخِرةِ وشرفهما فعليهِ بالتَّقْوَى".

وكان حجاج بن أرطاةَ يقولُ: قَتلني حُبُّ الشَّرفِ. فقالَ لهُ سَوَّارٌ: لَوِ اتقيتَ الله شَرفتَ.

وفي هذا المعنى يقول القائل شعرًا:

أَلَا إنمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ والْكَرَمُ ... وَحُبُّكَ لِلدُّنْيا هُوَ الذُّلُّ والسَّقَم

وَليسَ عَلَى عَبْدٍ تقيٍّ نقيصَة ... إِذَا حَقَّقَ التَّقوَى وَإِنْ حَاكَ أَو حَجَم

وقال صالحٌ الباجيُّ: الطاعةُ إمرةٌ والمُطِيعُ للهِ أَميرٌ مُؤَمَّر عَلى الأُمراءِ، أَلا تَرَى هَيبتَهُ في صُدورِهِم، إن قَالَ قَبِلُوا، وإِن أَمر أَطاعُوا، ثم يَقولُ: يَحقُّ لمن أَحسنَ خِدمتَكَ وَمننتَ عليهِ بمحَبَّتِكَ أن تُذْلِلَ له الجبابرةَ حتى يَهَابوهُ لهيبتهِ في صُدورهم من هيبتَكَ في قلبهِ، وكُلُّ الخيرِ من عندكَ بأوليائكَ.

وقال بعضُ السلفِ الصالحِ: مَنْ أَسعدُ بالطاعةِ مِنْ مُطيعٍ؟ ألاَ وَكُلُّ الخيرِ في الطاعةِ، أَلا وِإن المُطيعَ لله مَلِكٌ في الدُّنْيا والآخرةِ.

وقال ذو النون: مَن أكرمُ وأَعزُّ ممَّن انقطَعَ إِلَى مَنْ مَلكَ الأَشياءَ بيدهِ؟

دَخلَ محمدُ بنُ سُليمانَ أَميرُ البصرةِ عَلَى حمادِ بنِ سلمةَ وقعدَ بين يديهِ يسأَلُهُ فَقَالَ له: يا أَبا سلمة، مَا لِي كلما نظرتُ إليكَ ارتعدتُ فرقًا منكَ؟ قال: لأَنَّ العالِمَ إِذَا أَرادَ بعلمه وجهَ الله خافَهُ كلُّ شيءٍ، وإِنْ أَرادَ أن يُكثِّرَ بهِ الكُنوزَ خافَ مِن كلِّ شيءٍ.

ومِن هذا قولُ بعضهِم: عَلَى قَدرِ هيبتكَ لله يخافُك الخلقُ، وعلى قدرِ محبَّتَكَ لله يُحِبُّكَ الخلقُ، وعلَى قدرِ اشتغالِكَ بالله تَشتغلُ الخلقُ بأَشغالِكَ.

وكان عمرُ بن الخطابِ –رضي اللَّه عنه– يَومًا يمشي ووَراءَهُ قومٌ من كبارِ المهاجرين، فالتفتَ فرَآهم فخَروا عَلَى رُكبهم هيبة لهُ، فبكى عمرُ وقال: اللَّهمَّ إِنك تعلمُ أني أخوفُ لك منهُم؛ فاغفر لي.

وكان العُمَريُّ الزاهد قد خرجَ إِلَى الكوفةِ إِلَى الرشيدِ ليعظَهُ وينهاه؛ فوقعَ الرعبُ في عسكرِ الرشيدِ لما سَمِعوا بنزوله، حتى لو نَزلَ بهم عَدوّ مِائةُ أَلفِ نفسٍ لما زَادُوا عَلَى ذَلك.

وكان الحسنُ لَا يستطيعُ أحدٌ أن يسألَهُ هيبةً له، وكان خواصُّ أصحابهِ يجتمعونَ ويطلبُ بعضُهم مِن بَعضٍ أن يسألوه عن المسألةِ، فَإِذَا حَضروا مجلسَهُ لم يجسرُوا عَلَى سؤالهِ، حتى رُبما مكثُوا عَلَى ذلك سَنةً كاملةً هَيبةً له.

وكَذلك كانَ مالكُ بنُ أَنسٍ يُهابُ أَن يُسأَلَ، حتى قالَ فيهِ القائلُ شعرًا:

يَدَعُ الجْوَابَ وَلَا يُرَاجَعُ هَيبَةً ... والسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ

نُورُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى ... فَهُوَ الْمَهِيبُ وَلَيسَ ذا السُلْطَانِ

وكان يزيد العُقيليُّ يقول: من أرادَ بعلمه وجهَ الله تعالى أقبلَ اللَّه عليهِ بوَجههِ وأقبلَ بقلوبِ العبادِ عليه، ومن عملَ لغيرِ اللَّه صرفَ اللَّه وجهَهُ عنهُ وصرفَ قلوبَ العبادِ عنه.

وقال محمدُ بنُ واسعٍ: إِذَا أقبلَ العبدُ بقلبهِ عَلَى الله أَقبلَ اللَّه عليهِ بقلوبِ المُؤمنينَ.

وقَال أَبُو يزيدَ البَسْطَاميُّ: طَلَّقْتُ الدُّنْيَا ثلاثًا بتاتًا، لا رجعةَ لِي فيها، وصرتُ إِلَى ربي وحدي، ونَاديتُهُ بالاستعانةِ: إلهي، أدعُوكَ دُعاءَ من لم يَبقَ لهُ غيرُكَ. فلما عَرفَ صِدقَ الدُّعاءِ من قلبي واليأسَ مِن نَفسي كَانَ أَوَّلُ ما وردَ عليَّ من إجابةِ هذا الدُّعاءِ أن أنساني نَفسي بالكُلية، ونَصبَ الخَلَائقَ بين يدي مع إعراضي عنهم.

وكَانَ يُزارُ مِن البُلدانِ، فلما رأَى ازدحامَ الناسِ عليهِ قال:

وَلَيتَنِي صِرْتُ شَيئًا ... مِنْ غَيرِ شَيء أَعُد

أَصْبَحْتُ للكل مَوْلًى ... لِأَنَّنِي لَكَ عَبْد

وَفِي الْفُؤَادِ أُمُورٌ ... مَا تُسْتَطَاعُ تُعَد

لَكِنْ كِتْمَانُ حَالِي ... أَحَقُّ بِي وَأَسَدَّ

كَتَبَ وهبُ بنُ مُنبِّهٍ إِلَى مَكحولٍ: أَمَّا بعدُ، فإنكَ أصبتَ بظاهرِ علمكَ عندَ الناسِ شَرفًا ومنزلةً، فاطلُبْ بباطنِ علمكَ عندَ اللَّه منزلةً وزُلْفَى، واعلمْ أنَّ إِحدَى المنزلَتينِ تمنعُ من الأخْرى.

ومعنى هَذا أَنَّ العلمَ الظاهرَ من تعلُّم الشَّرائعِ والأحكامِ، والفَتاوى والقَصص والوَعظِ ونحوِ ذلك مما يظهرُ للناسِ يَحصلُ بهِ لصاحبهِ عندَهُم منزلةٌ وشرفٌ، والعلمُ الباطنُ المودَعُ في القلوبِ من معرفةِ اللَّه وخشيتِهِ، ومحبتِهِ ومُراقبتِهِ، والأنسِ بهِ والشوقِ إِلَى لقائِهِ، والتوكلِ عليهِ والرِّضى بقضائِهِ، والإعراضِ عن عَرَضِ الدُّنْيَا الفاني، والإقبالِ عَلَى جَوهرِ الآخرةِ الباقي، كلُّ هذا يوجبُ لصاحبهِ عندَ اللَّه منزلةً وزُلْفَى، وإحدَى المنزلتينِ تمنعُ من الأُخرى.

فمن وقفَ مع منزلتِهِ عندَ الخلْقِ، وانشغلَ بما حَصَل لهُ عندَهم بعلم الظاهرِ من شرفِ الدنيا، وكان همُّهُ حِفظَ هذهِ المنزلةِ عندَ الخلقِ وملازَمتَهَا وتربيتها والخوفَ من زَوَالِها كانَ ذلكَ حظَّهُ من اللَّه وانقطَعَ به عنهُ، فهو كما قالَ بعضُهم: ويلٌ لِمَن كانَ حَظُّهُ مِن اللَّه الدُّنْيَا.

وكان السَّرِيُّ السَّقَطَيُّ يعجب مما يَرى من علمِ الجنيدِ وحُسنِ خطابِهِ وسُرعةِ جَوابِهِ فقالَ لَه يَومًا -وقَد سأَلهُ عن مَسألةٍ فَأجابَ وأَصابَ-: أَخشَى أن يكونَ حظَّكَ من الدُّنْيَا لسانك. فكانَ الجُنيدُ لَا يزالُ يَبكِي من هذهِ الكلمةِ.

ومَن اشتغلَ بتَربيةِ منزلتِهِ عندَ اللَّه بما ذكرنا من العلمِ الباطنِ وَصلَ إِلَى اللَّه، فاشتغلَ بهِ عما سواهُ، وكانَ لهُ في ذلكِ شُغُلٌ عن طلبِ المنزلةِ عندَ الخلقِ، ومع هذا، فإن الله يُعطيهِ المنزلةَ في قُلوبِ الخلقِ والشَّرفِ عندَهم، وإن كان لا يريدُ ذلك ولا يَقفُ معهُ؛ بل يَهرَبُ منهُ أَشدَّ الهربِ ويفِرُّ أَشدَّ الفِرَارِ؛ خشيةَ أن يقطعَهُ الخلقُ عن الحقِّ جلَّ جَلالُهُ.

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}.

أي: في قلوبِ عِبادِهِ.

وفي حديث: "إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى: يَا جِبْرِيلَ، إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا.

فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ".

والحديثُ مَعروفٌ، وهُو مُخرّج في "الصحيح".

وبكُلِّ حالٍ؛ فطلبُ شرف الآخرةِ يَحصلُ معه شرف الدُّنْيَا، وإن يُرِدْهُ صاحبُهُ ولم يطلُبهُ، وطلبُ شرف الدُّنيا يمنع شَرفَ الآخرةِ ولا يجتمعُ معهُ، والسعيدُ من آثَرَ الباقي عَلَى الفاني، كما في حديثِ أبي موسى، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى».

خرجه الإمام أحمد وغيره.

وما أَحسنَ ما قال أبو الفتح البُسْتِيُّ:

أَمْرَانِ مُفْتَرِقَانِ لَسْت تَرَاهُمَا ... يَتَشَوَّقَانِ لخلطة وَتَلَاقِي

طَلَبُ الْمَعَادِ مَعَ الرِّيَاسَةِ وَالْعُلَى ... فَدَعِ الَّذِي يَفْنَى لِمَا هُوَ بَاقِي

تم الكلام عَلَى شرح الحديث، والحمد لله عَلَى كل حال، وصلى الله عَلَى سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين."

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فيقول المؤلف رحمه الله تعالى: "**فصل: وقد تبيَّن بما ذكرنا أن حبّ المال والرياسةِ**" اللذَّين جاء بهما الحديث، حب الشرف والمال، الشرف: الرياسة والجاه، والمال معروف بأنواعه وأصنافه، مما زين للناس في هذه الدنيا.

" **وقد تبيَّن بما ذكرنا أن حبّ المال والرياسةِ والحرصِ عليهما يُفسدُ دينَ المرءِ**" ولذا جاء التنفير في الحديث المشروح: (ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حب المال والشرف لدين المرء) "**حتى لا يبقى منهُ إلا ما شاءَ الله**" الذئبان الجائعان في هذه الرعية من الغنم التي غاب عنها رُعاتها، ولا يلزم من ذلك الأكل، أن يأكلوا منها ويبقوا ما يبقوا، لأنه يكفيهما الشيء اليسير، ولازم ذلك أن يتركا الكثير، لكنهما يفسدان، ليس القصد الأكل، القصد الإفساد، ولذا تجدون القط إذا دخل على الحمام وهي محصورة له في مكان ضيق، ما يكفيه أن يقتل واحد أو يأكله لا، يفسد الجميع! ثم يعود على الذي يأكله، والذئب شر وأشد من القط "**كما أخبرَ بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-.**" يعني في الحديث الذي هو محط الكلام.

"**وأصل محبة المال والشرف من حب الدنيا**" يعني هو فرع، المال والشرف من فروع حب الدنيا، "**وأصل حب الدنيا اتباع الهوى.**" لأن الإنسان لو ترك هواه وكان هواه تبعًا لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام لآثر الآخرة على الدنيا.

"**قال وهبُ بنُ مُنبِّه: من اتّباع الهوى الرغبةُ في الدُّنْيَا، ومن الرغبةِ فيها حُبّ المالِ والشَّرفِ، ومِن حُبّ المالِ والشَّرفِ استحلالُ المحارمِ.**" يعني لابد فإنه إذا أُشرب قلبه حب المال فإنه سوف يرتكب الوسائل

المحرمة لكسب المال وجمعه، وكذلك الشرف لأنه سيبذل لنيل هذا الشرف وهذا الجاه من الوسائل المحرمة ومنها ما يكون بذلاً لشيء من دينه وبيعًا لشيء من دينه في مقابل هذا الشرف.

قال: " **وهذا كلامٌ حَسَنٌ؛ فإنه إِنَّمَا عُتِبَ عَلَى صاحبِ المالِ والشَّرفِ الرغبةَ في الدُّنْيَا**" ولولا الرغبة في الدنيا ما أحب المال، لولا الرغبة في الدنيا ما أحب الشرف، قد يقول قائل: أنا أحب المال من أجل أن أوسع على الناس ومن أجل أن أبذل في وجوه الخير وأن أصنع بمالي مثل ما صنع فلان المحسن ويكون له مثل أجره، هذا يوجد، لكن هل هذا هو الكثير الغالب؟ بهذه النية تُجمع الدنيا؟ كثير من طلاب العلم يسأل يقول: طلب الإمامة في المسجد والخطابة هل هو من حب المال ومن تقديم الدنيا على الآخرة؟ نقول: إذا كنت تقصد بذلك ألا تفوتك الصلاة ولا تكبيرة الإحرام وأن تحافظ على حفظك، صار من أمور الدنيا[1]، وإن كان نظرك إلى المكافأة وما يصرف لك من بيت المال فهذا من حب الدنيا، قال: "**وإنما تَحصُلُ الرغبةُ في الدُّنْيَا من اتِّباع الهَوى؛ لأنَّ الهوى دَاعٍ إِلَى الرغبةِ في الدُّنْيَا وَحُبِّ المالِ والشَّرفِ فيها، والتقوى تمنعُ من اتِّباعِ الهوى**" التقوى التي هي في الأصل: الوقاية من عذاب الله وما يقرب إليه وما يدعوا إليه، تمنعك من هذا كله. "**وتردعُ عن حُبِّ الدُّنْيَا. قال الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}** " واقع الناس لا يحتاج إلى شرح لتطبيقه على الآية فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا، لكن الطغيان زاد، ووصل إلى حد ما كان المؤلف يعرفه ومن قبله، قال بعض السلف: (من وضع على مائدته ثلاثة ألوان من الطعام فقد طغى) هذا الطغيان عندهم، لكن اليوم! اليوم هل يقتصر الناس على ذلك؟ أقل الناس عيشة يضع أكثر من هذا، والآن الموائد عند الكبار تجبى إليها الأطعمة من سائر القارات، وتنقل بالطائرات، وينه عن ثلاثة ألوان من الطعام؟ تمر ولبن وقرص من البر هذه ثلاثة ألوان، والله المستعان "**{فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}**" لكن الطغيان أعم من ذلك، هو درجات "**{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ}**" خاف مقام ربه في السر والعلن "**{وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}**" وهؤلاء يصيرون إلى مأواهم الجنة.

وقَد وَصفَ الله تعالى أَهلَ النارِ بالمالِ والسلطانِ في مَوَاضِعَ مِن كِتابهِ، فَقَالَ تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ}" هؤلاء هم أهل النار "**{فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ}**" أوتي الكتاب بالشمال يقول يا ليتني لم أوت كتابيه، يعني من أبسط الأمثلة في حياتنا: الطالب إذا كان رديء في دراسته وشهادته ضعيفة أو فيه

---

[1] لعله سبق لسان وأن الشيخ أراد: أمور الآخرة

رسوب أو شيء من هذا، يذهب بها إلى أهله أو يمزقها؟ يمزقها ويقول لأهله الشهادات ما طلعت "{فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}" يود ألا يكون هناك بعث فيحاسب "{مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ}" هو صاحب أموال "{هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ}" هذا المال والسلطان هل نفع؟ هو ينفع إذا أُستعمل فيما يرضي الله جل وعلا وابتُغي به وجه الله، لكن في الغالب كما جاء في الحديث المال والسلطان، المال والشرف، المال والجاه في الغالب أنه مفسد لدين المرء.

قال: "واعلمْ أن النَّفسَ تُحبُّ الرِّفعَةَ والعُلوَّ عَلَى أَبناءِ جنسِهَا" هذه جبلة في قلوب الناس، ما لم يروض الإنسان نفسه، ولذلك لا يتصور كثير، بل السواد الأعظم من الناس لا يتصورون معنى قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) لا يتصورون هذا، لأنه مجبول على أن يترفع على غيره فكيف يحب لهم ما يحبه لنفسه، كثير صرح بأن هذا غير صحيح، قلنا في الحديث الصحيح، لأنه يؤنس من نفسه ويعرف من نفسه أنه لا يمكن، مستحيل، بعض ما ورد في الكتاب والسنة من طلب المنافسة والمسارعة والمسابقة، وش معنى هذا؟ إنك تنافس لتسبق، وتسارع لتتقدم على غيرك، فهل هذا يجامل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟ كلها نصوص قطعية هذه لا أحد يشكك في ثبوت هذا النصوص، تصور الأمر فيه صعوبة جدًا لكن العلماء يقولون صاحب القلب السليم، الذي قلبه ليس بسليم لا يتصور هذا، لكنهم يقولون صاحب القلب السليم يسهل عليه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه "وَمن هُنا نشأَ الكِبرُ والحسدُ، ولكن العاقلَ يُنافسُ في العُلوِّ الدائم الباقي الَّذِي فيهِ رضوانُ اللَّه وقُربُهُ وجِوارُهُ، ويَرغَبُ عن العُلوِّ الفاني الزَّائلِ، الَّذِي يعقُبُهُ غضبُ اللَّه وَسخطُه، وانحطاطُ العبدِ وسُفُولُه وبعدُهُ عَن الله وطردُهُ عنه، فهذا العُلوّ الفاني الَّذِي يُذَمَّ، وهو العتُوُّ والتكبرُ في الأرض بغيرِ الحَقِّ." يعني الفاني الذي مدته تنتهي بزوال دنياه، كم سيعيش؟ لو عاش من أول حياته إلى آخرها في هذا الشرف وهذا المال وهذا العلو وهذا التكبر، نهايته قريبه، حتى ولو كان من الأمم السابقة الذين يعيشون مئات السنين، له نهاية قريبة، لأن مدة الدنيا بالنسبة لمدة الآخرة كلا شيء، كلا شيء، ولذلك جاء في الحديث: (من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) ما قال من كرب الدنيا والآخرة، مثل ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، لأن كرب الدنيا لو صارت في حياة المرء من يولد إلى أن يموت كلا شيء بالنسبة لكربة من كرب يوم القيامة.

"وأما العُلوُّ الأوَّلُ والحرصُ عليهِ فهو محمودٌ." العلو الأول، يرغب في أن يعلو على غيره في أمور الدين، علو الدين نعم. "والحرصُ عليهِ فهو محمودٌ. قال الله تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}." والمنافسات في أمور الدنيا وفي علوم الدنيا تجعل عليها الجوائز والصلات لهذه الأمور الفانية. "{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}. وقال الحسن رحمه الله: إِذَا رَأَيتَ الرَّجلَ يُنافسكَ في الدُّنْيَا فنافِسْهُ في الآخرةِ." في سوق من أسواق المسلمين قبل أربعين سنة، فيه منافسة شديدة على البيع والشراء والحركة فيما يناسب ذلك الوقت، هم يحرصون على العمل في التجارة من طلوع الشمس إلى غروبها بدون استثناء، ولهث وتعب شديد، واحد منهم أعرفه اختل حفظه للقرآن فأغلق الدكان سنة، ليضبط حفظ القرآن، هؤلاء ينافسون في الدنيا وهو نافسهم...! مثال.

"وقال وُهَيبُ بنُ الوَرْدِ: إن استطعتَ أَن لَا يسبقَكَ إِلَى الله أَحدٌ فافعلْ." لكن هذا من أرخص الأمور على الناس مع الأسف، والسبب الركون إلى الدنيا واتباع الهوى، وإلا فالأصل أن طالب العلم أول من يبادر على فعل الخيرات.

"وقالَ محمدُ بنُ يوسف الأصبهاني العابدُ: لو أَنَّ رجلاً سَمِعَ برجلٍ أو عَرفَ رجلًا أطوعَ للهِ منهُ فَانصدعَ قلبُهُ لم يكن ذلكَ بِعجبٍ." لماذا؟ لأنه حصل على ما عند الله من ثواب أكثر منه، فينبغي أن ينافسه ليكون أكثر منه، صدق، هذا الوجل الذي حصل في قلبه والخلل الذي صدع من أجله قلبه، إذا لم يحمله هذا إلى العمل ليكون مثله أو أفضل منه لا يفيد، الوجل الذي لا يبعث على التقوى ما فيه فائدة، وكذلك الرجاء.

سؤال: ...

الشيخ: ينفع إذا دفعه للعمل، هو أصل الخوف من أنواع العبادة، لكن في حياة المسلم إذا خاف وهو مصر على ذنوبه، ما ينفع.

سؤال: ...

الشيخ: على كل حال طاعة الله جل وعلا سبب لكل خير، وجالبة لكل نافع.

"وقال رجلٌ لمالكِ بن دينارٍ: رأيتُ في المنام مناديًا يُنادي: أيها الناسُ، الرحيل، الرحيلَ، فَما رأيتُ أحدًا ارتحل إلا محمدُ بنُ واسعٍ رحمه الله، فصاحَ مَالكٌ رحمه الله وغُشِيَ عليهِ." مالك بن دينار ليس مالك بن أنس، مالك بن دينار صاحب القصة.

يقول: "ففي دَرجاتِ الآخرةِ الباقيةِ يَشرُعُ التنافسُ وطلبُ العُلوِّ في مَنازِلها، والحرصُ عَلَى ذلك بالسعي في أسبابِهِ، وألا يقنع الإنسانُ منها بالدُّونِ مَع قُدرتهِ عَلى العُلوّ." الإنسان إذا كان في أمر من أمور الدنيا طلب لنفسه أفضل شيء، وإذا كان مما يتقرب به إلى الله جل وعلا طلب الأقل! لو أن شخصًا حل به ضيف يرجو من ورائه دنيا، وذهب إلى السوق فاشترى كبشًا ليكرمه به، كيف يتخير؟ سيتخير أطيب الموجود، لكن في حال التقرب إلى الله جل وعلا بأضحية أو عقيقة تجد مثل هذا أقل، والله المستعان، ما ودنا نسترسل لأن الباقي طويل.

"وأما العلوُّ الفاني المُنقطعُ الَّذِي يُعقب صاحبَهُ غدًا حَسرةً وندامةً وذِلَّةً وهَوانًا وصغارًا، فهو الَّذِي يشرعُ الزهدُ فيه" يشرع الزهد في هذا العلو الذي عاقبته هذه العاقبة الوخيمة "والإعراضُ عنهُ."

"وللزهدِ فيه أسبابٌ عديدةٌ: فمنها: نظرُ العبدِ إِلَى سُوءِ عاقبةِ الشَّرفِ في الدُّنْيَا بالولايةِ والإمارةِ لمن لا يُؤدِّي حقَّها في الآخرةِ" وهذا كثير غالب، ولذلك الزهد فيها جملة وتفصيلاً إلا لمن تعينت عليه هو الأصل، أما من تعينت عليه فلا مندوحة في قبوله لهذا العمل.

قال رحمه الله: "وللزهدِ فيه أسبابٌ عديدةٌ:

فمنها: نظرُ العبدِ إِلَى سُوءِ عاقبةِ الشَّرفِ في الدُّنْيَا بالولايةِ والإمارةِ لمن لا يُؤدِّي حقَّها في الآخرةِ،

ومنها: نظر العبد إِلَى عُقوبةِ الظَّالمينَ والمكذبين، ومن يُنازعُ اللَّهَ رِدَاء الكبرياءِ." (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعني فيهما عذبته).

وفي "السُّنن" عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرّ" الذر صغار النمل "فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ: بُولَسَ" أو بَولَس ضُبط بفتح الواو أو ضمها مع إسكان الواو وفتح اللام "تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَار" يعني أشد النيران لهبًا وإحراقًا "يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ: طِينَةَ الخَبَالِ»" قد جاء تفسيرها في الحديث الصحيح

"وخرجه الترمذيُّ وغيرُه من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم–." والحديث لا يقل عن درجة الحسن كما هو معروف في الكلام على عمرو بن شعيب.

"وفي روايةٍ لغيرِهِ مِن وَجْهٍ آخَرَ في هذا الحديث: (يَطَؤُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ)." هم لما تعاظموا وتكبروا وتجبروا على الناس وانتفخوا في ظاهرهم أمام الناس عوقبوا فحشروا على النقيض أمثال الذر.

"وفي رواية أخرى من وجه آخر: (يَطَؤُهُم الجِنُّ وَالْإِنْسُ وَالدَّوَابُّ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ).

واستأذنَ رَجل عُمرَ –رضي اللَّه عنه– في القَصصِ" في الوعظ، القصص ليعظ الناس، والقصاص هم الوعاظ "في القَصصِ عَلَى الناس فَقَالَ له: إني أَخافُ أن تَقُصَّ عليهم فترتفع" يعني في نفسك وعندهم "فترتفع عَليهِم في نَفسكِ حَتَّى يَضَعَكَ اللَّه تَحْتَ أَرْجُلهِمْ يومَ القيامةِ.

ومِنها: نَظرُ العبدِ إِلَى ثَوابِ المتَواضعينَ للَّه في الدُّنيا بالرِّفعةِ في الآخرةِ؛ فإنه من تواضعَ لله رفَعَهُ." وهذا في الصحيح.

سؤال: ...

الشيخ: غالب القصاص يكون ما عندهم علم لكن عندهم أساليب ويحفظون من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ولذا جاء من القصص عن ... وغيره، منعوه.

"ومنها –وَلَيس هُو في قُدرَةِ العبدِ، ولكنَّهُ من فضلِ اللَّه ورَحمتِهِ–: مَا يُعوّضُ الله عِبادهُ العارفين به، الزاهدينَ فيمَا يفنى مِنَ المالِ والشَّرفِ، ممَّا يُعجِّلُهُ الله لهم في الدُّنْيَا مِن شرفِ التَّقوى وهيبةِ الخلقِ لهم في الظَّاهرِ، ومن حلاوةِ المعرفةِ والإيمان والطَّاعةِ في الباطن، وهي الحياةُ الطيِّبةُ" {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} "وهي الحياةُ الطيِّبةُ التي وعدهَا الله لمن عَمِلَ صالحًا من ذكر أو أُنثى وهُو مُؤمنٌ، وهذهِ الحياةُ الطيِّبةُ لم يذُقها الملوكُ في الدُّنْيَا ولا أَهلُ الرئاساتِ" نعم جعل الله لمن هذه صفاته من أهل العلم والعمل من الهيبة في قلوب الناس حتى في قلوب الملوك والأمراء والسلاطين ... وعلى أهل العلم في الليالي الشاتية من أهل العلم والعمل في الليالي الشاتية من أهل السلطان ومن الأمراء وغيرهم، فتجده يتصبب عرقًا وفي نفسه سؤال وينصرف ولم يسأل، من ورث عن النبي عليه الصلاة والسلام من العلم والعمل فيعطى من (نصرت بالرعب) بقدر ما ورث، والله المستعان.

سؤال: ...

الشيخ: ولذلك الرسول عليه الصلاة والسلام ينسى ليسُن، نام عن صلاة الفجر والأصل أنه تنام عيناه ولا تنام قلبه، من أجل أن يشرع في هذا القضية، وكونه يحصل خلاف الأصل.

"**وهذهِ الحياةُ الطيِّبةُ لم يذُقها الملوكُ في الدُّنْيَا ولا أَهلُ الرئاساتِ والحرصِ عَلَى الشَّرفِ، كما قالَ إبراهيمُ بنُ أَدهمَ: لو يعلمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحنُ فيه لجالدونا عليهِ بالسيوفِ.**" طالب علم منهوم بعلمه بين كتبه، من كتاب إلى كتاب يراجع هذه المسألة، نسي نفسه ... أعرف واحد يسمي مكتبته: خريمة، وواحد من شيوخ شيوخنا في ليلة زواجه، لما تذكر آية يريد مراجعتها مرت عليه في الدرس، من تفسير إلى تفسير حتى أذن الفجر، ليلة الزواج، واحد من طلابه موجود الآن، حاضر الدرس ليلة زواجه، هو موجود الآن وليس كبير يعني، الأمور تقدر بقدرها، لا يقال ليلة زواجك احضر درس ولا كذا، لكن من اللذة التي يجدها وهذا من الجنة التي قال عنها إبراهيم بن أدهم وغيره.

"**ومن رزقهُ الله ذلك اشتغلَ به عن طلبِ الشَّرفِ الزائلِ والرئاسةِ الفانية.**

قال الله تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}. وقال: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}.

وفي بعض الآثار: يقول الله عز وجل: (أَنَا العَزيزُ؛ فمن أرادَ العزّ فليُطِعِ العَزيزَ، وَمَن أَرادَ عزَّ الدُّنيا وَالآخِرةِ وشرفهما فَعليهِ بالتَّقْوَى).

وكان حجاج بن أرطاةَ يقولُ: قَتلني حُبُّ الشَّرفِ." وقد ضُعف بسبب ذلك في روايته للحديث ... أنه يأنف من مجاورة ... "**فقالَ لهُ سَوَّارٌ: لَوِ اتقيتَ الله شَرفتَ.**

وفي هذا المعنى يقول القائل شعرًا:

أَلَا إنمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ والْكَرَمُ ... وَحُبُّكَ لِلدُّنْيا هُوَ الذُّلُّ والسَّقَم

وَليسَ عَلَى عَبْدٍ تقيٍّ نقيصَة ... إِذَا حَقَّقَ التَّقوَى وَإِنْ حَاكَ أَو حَجَم

وقال صالحٌ الباجيُّ: الطاعةُ إمرةٌ والمُطِيعُ للهِ أَميرٌ مُؤَمَّر عَلى الأُمراءِ، أَلا تَرَى هَيبتَهُ فِي صُدورِهِم، إن قَالَ قَبِلُوا، وإِن أَمر أَطاعُوا، ثم يَقولُ: يَحِقُّ لمن أَحسنَ خِدمتَكَ وَمننتَ عليهِ بمحَبَّتِكَ أن تُذْلِلَ له الجبابرةَ حتى يَهَابوهُ لهيبتهِ فِي صُدورهم من هيبتَكَ فِي قلبهِ، وكُلُّ الخيرِ من عندكَ بأوليائكَ.

وقال بعضُ السلفِ الصالحِ: مَنْ أَسعدُ بالطاعةِ مِنْ مُطيعٍ؟ ألاَ وَكُلُّ الخيرِ فِي الطاعةِ، أَلا وِإن المُطيعَ للهِ مَلِكٌ فِي الدُّنْيا والآخرةِ.

وقال ذو النون: مَن أكرمُ وأَعزُّ مِمَّن انقطَعَ إِلَى مَنْ مَلكَ الأَشياءَ بيدهِ؟

دَخلَ محمدُ بنُ سُليمانَ أَميرُ البصرةِ عَلَى حمادِ بنِ سلمةَ وقعدَ بين يديهِ يسألُهُ فَقَالَ له: يا أَبا سلمة، مَا لِي كلما نظرتُ إليكَ ارتعدتُ فرقًا منكَ؟ قال: لأَنَّ العالِمَ إِذَا أَرادَ بعلمه وجهَ الله خافَهُ كلُّ شيءٍ، وإِنْ أَرادَ أن يُكثِّرَ بِهِ الكُنوزَ خافَ مِن كلِّ شيءٍ.

ومِن هذا قولُ بعضهِم: عَلَى قَدرِ هيبتكَ للهِ يخافُك الخلقُ، وعلى قدرِ محبَّتَكَ للهِ يُحِبُّكَ الخلقُ، وعلَى قدرِ اشتغالِكَ باللهِ تَشتغلُ الخلقُ بأَشغالِكَ.

وكان عمرُ بن الخطابِ –رضي اللَّه عنه– يَومًا يمشي ووَراءَهُ قومٌ من كبارِ المهاجرين، فالتفتَ فرَآهم فخَروا عَلَى رُكبهم هيبة لهُ، فبكى عمرُ وقال: اللَّهمَّ إِنك تعلمُ أني أخوفُ لك منهُم؛ فاغفر لِي."

بكاء صحيح وليس بكاء الذي يتجاوز الآية قرأ التي بعدها ما كأن شيء حصل، لأن بعض القراء تسمعه يبكي إذا قرأ آية، إذا انتهت هذه الآية قرأ التي بعدها كأنه ما صار شيء، البكاء المؤثر الذي يبقى أثره، الذي يبقى أثره في القلب، وتظهر آثاره على الجوارح وعلى الأفعال.

"وكان العُمَرِيُّ الزاهد قد خرجَ إِلَى الكوفةِ إِلَى الرشيدِ ليعظَهُ وينهاه؛ فوقعَ الرعبُ فِي عسكرِ الرشيدِ لما سَمِعوا بنزوله، حتى لو نَزلَ بهم عَدوّ مِائةُ أَلفِ نفسٍ لما زَادُوا عَلَى ذَلك.

وكان الحسنُ رحمه الله لَا يستطيعُ أحدٌ أن يسأَلَهُ هيبةً له، وكان خواصُّ أصحابهِ يجتمعونَ ويطلبُ بعضُهم مِن بَعضٍ أن يسألوه عن المسألةِ، فَإِذَا حَضروا مَجلسَهُ لم يَجسرُوا" أو لم يجرؤوا "عَلَى سؤالِهِ، حتى رُبما مكثُوا عَلَى ذلك سَنةً كاملةً هَيبةً له." ابن عباس يريد أن يسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا، سنة كاملة ما سأل، وجد فرصة بالحج فسأله عنهم.

سؤال: ...

الشيخ: الذي يظهر أنه عبد الله المُكبّر، المضعف عند أهل الحديث، الذي يقول مالك: لو رأيت لحيته وهيبته لقبلت حديثه، فاغتر مالك بمظهره، لأنه صاحب عبادة هو، بخلاف أخيه عبيد الله ثقة في الحديث لكنه دونه في هذا الشأن.

"وكَذلك كانَ مالكُ بنُ أَنسٍ رحمه الله يُهابُ أَن يُسأَلَ، حتى قالَ فيهِ القائلُ شعرًا:

يَدَعُ الْجَوَابَ وَلَا يُرَاجَعُ هَيبَةً ... والسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ

نُورُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى ... فَهُوَ الْمَهِيبُ وَلَيسَ ذا السُلْطَانِ

وكان يزيد العُقيليُّ رحمه الله يقول: من أرادَ بعلمه وجهَ الله تعالى أقبلَ اللَّه عليهِ بوَجههِ وأقبلَ بقلوبِ العبادِ عليه، ومن عملَ لغيرِ اللَّه صرفَ اللَّه وجهَهُ عنهُ وصرفَ قلوبَ العبادِ عنه." من طلب العلم لغير الله مُكر به، كما جاء في الآثار.

"وقال محمدُ بنُ واسعٍ رحمه الله: إِذَا أقبلَ العبدُ بقلبهِ عَلَى الله أَقبلَ اللَّه عليهِ بقلوبِ المُؤمنينَ." من أرضى الله جل وعلا بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، بخلاف من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس.

"وقَال أَبُو يزيدَ البَسْطَاميُّ: طَلَّقْتُ الدُّنْيَا ثلاثًا بتًا، لا رجعةَ لِي فيها، وصرتُ إِلَى ربي وحدي" سرت أو صرت المقصود أن كونه لوحده ليس بصحيح، معه فئام من خيار الناس وعبادهم وعلمائهم **"ونَاديتُهُ بالاستعانةِ: إِلهي، أدعُوكَ دُعاءَ من لم يَبقَ لهُ غيرُكَ. فلما عَرفَ صِدقَ الدُّعاءِ من قلبي واليأسَ مِن نَفسي كَانَ أَوَّلُ ما وردَ عليَّ من إجابةِ هذا الدُّعاءِ أن أنساني نَفسي بالكُلية"** يعني نسيان النفس بالكلية يحتاج إلى إعادة نظر، أبو يزيد البسطامي سُئل: أي لحيتك (هذا سؤال طريف) وذنب الكلب أشرف؟ يذكر في كتب المواعظ والرقائق التي تعتني بأقواله وأقوال نظرائه، أي لحيتك وذنب الكلب أشرف؟ أيهم أشرف؟ قال: إن كنت في الجنة فلحيتي أشرف، وإن كنت في النار فذنب الكلب أشرف، هم يعتنون بأمور قد لا يسودها شيء من النص، يقول: **"أن أنساني نَفسي بالكُلية ونَصَّبَ الخَلَائقَ بين يدي"** يعني أتعبهم أو نصَبهم يعني بمعنى أقامهم أمامي بين عيني أو **"بين يدي مع إعراضي عنهم"**.

"وكَانَ يُزارُ مِن البُلدانِ، فلما رأَى ازدحامَ الناسِ عليهِ قال:

وَلَيتَني صِرْتُ شَيئًا ... مِنْ غَيرِ شَيء أَعُد

أَصْبَحْتُ للكل مَوْلًى ... لِأَنَّني لَكَ عَبْد

وَفِي الْفُؤَادِ أُمُورٌ ... مَا تُسْتَطَاعُ تُعَد

لَكِنْ كِتْمَان حَالِي ... أَحَقُّ ما بِي وَأَسَدَّ

كَتَبَ وهبُ بنُ مُنبّهٍ رحمه الله إلَى مَكحولٍ" مكحول بن عبد الله الشامي سيد من سادات التابعين، وكان مولى وفيه كثير من العاهات التي ذكرها العلماء كالذهبي وغيره، ومع ذلك إذا رآه الملوك والأمراء حصل لهم من الرعب والخوف والذعر شيء لا يخطر على البال، فيه عاهات يقال إنه يشال بطست من كثرة عاهاته، لكنه العلم كما قال الشاعر:

يسمو من يسود به ... على الجهول ولو من أصله مضر

"أمَّا بعدُ، فإنكَ أصبتَ بظاهرِ علمكَ عندَ الناسِ شَرفًا ومنزلةً، فاطلُبْ بباطنِ علمكَ عندَ اللَّه منزلةً وزُلْفَى، واعلمْ أنَّ إِحدَى المنزلَتينِ تمنعُ من الأخرى." يعني الشرف في الدنيا الذي يُقصد ويُحب يمنع شرف الآخرة، لكن الشرف في الدنيا الذي يأتي تبعًا للعلم والعمل هذا لا يمانع ولا يمنع شرف الآخرة.

"ومعنى هَذا أَنَّ العلمَ الظاهرَ من تعلُّم الشَّرائعِ والأحكامِ، والفَتاوى والقَصص والوَعظِ ونحوِ ذلك مما يظهرُ للناسِ يَحصلُ بِهِ لصاحبهِ عندَهُم منزلةٌ وشرفٌ، والعلمُ الباطنُ المودَعُ في القلوبِ من معرفةِ اللَّه وخشيتِهِ، ومحبتِهِ ومُراقبتِهِ، والأنسِ بِهِ والشوقِ إِلَى لقائِهِ، والتوكلِ عليهِ والرّضى بقضائِهِ، والإعراضِ عن عَرَضِ الدُّنْيَا الفاني، والإقبالِ عَلَى جَوهرِ الآخرةِ الباقي، كلُّ هذا يوجبُ لصاحبهِ عندَ اللَّه منزلةً وزُلْفَى، وإحدَى المنزلتينِ تمنعُ من الأُخرى." مثل ما قلنا إذا كان شرف الدنيا مقصودًا لذاته، ومحبوبًا ويسعى إليه الإنسان من أجله، هذا يمنع من شرف الآخرة، لكن قد يأتي تبع، شرف الدنيا، من أشرف من الصحابة ومن الأئمة في التابعين ومن جاء بعدهم، قد جمعوا بين العلم والعمل.

"فمن وقفَ مع منزلتِهِ عندَ الخلْقِ، وانشغلَ بما حَصَلَ لهُ عندَهم بعلم الظاهرِ من شرفِ الدنيا، كان همُّهُ حِفظَ هذهِ المنزلةِ عندَ الخلقِ" لا تأثر، فيحافظ عليها بما يرضيهم وإن أغضب الله جل وعلا "وملازَمتَهَا

وتربيتها والخوفَ من زَوَالِها وكانَ ذلكَ حظَّهُ من اللَّه تعالى وانقطَعَ به عنهُ، فهو كما قالَ بعضُهم: ويلٌ لِمَن كانَ حَظُّهُ مِن اللَّه الدُّنْيَا.

وكان السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ رحمه الله" وهو من جنس من تقدم من الجُنيد وأبو يزيد وأبو سليمان وغيرهم "وكان السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ رحمه الله يعجبه ما يَرى من علمِ الجنُيدِ" الجنيد أيضًا منهم "من علمِ الجنُيدِ وحُسنِ خطابِهِ وسُرعةِ جَوابهِ فقالَ لَه يَومًا –وقَد سألَهُ عن مَسألةٍ فَأجابَ وأَصابَ–: أَخشَى أن يكونَ حظَّكَ من الدُّنْيَا لسانك، وكانَ الجُنيدُ لَا يزالُ يَبكِي من هذهِ الكلمةِ." يعني أثرت فيه، أن يكون حظه من تعبه في الوعظ، ليس من أهل الحديث ولا من أهل التفسير ولا من الفقهاء، لا، هو واعظ من العباد من الصوفية.

"ومَن اشتغلَ بتَربيةِ منزلتِهِ عندَ اللَّه تعالى بما ذكرنا من العلمِ الباطنِ وَصلَ إِلَى اللَّه، فاشتغلَ بهِ عما سواهُ، وكانَ لهُ في ذلكِ شُغُلٌ عن طلبِ المنزلةِ عندَ الخلقِ، ومع هذا، فإن الله يُعطيهِ المنزلةَ في قُلوبِ الخلقِ" وهذا ظاهر والأمثلة على ذلك كثيرة في القديم والحديث "يُعطيهِ المنزلةَ في قُلوبِ الخلقِ والشَّرفِ عندَهم، وإن كان لا يريدُ ذلك ولا يَقفُ معهُ؛ بل يَهرَبُ منهُ أَشدَّ الهربِ ويفِرُّ أَشدَّ الفِرَارِ؛ خشيةَ أن يقطعَهُ الخلقُ عن الحقِّ جلَّ جَلالُهُ." يعوقه مزاولة الخلق ومخالطتهم عما يرضي الحق وهو الله جل وعلا.

"عن الحقِّ جلَّ جَلالُهُ، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}." يعني مودة "أي: في قلوبِ عِبادِهِ. وفي الحديث: (إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى: يَا جِبْرِيلَ، إِنِّ أُحِبُّ فُلَانًا." فأحبه "فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ" ينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء "ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ). والحديثُ مَعروفٌ، وهُو مُخرّج في الصحيح." في البخاري وغيره.

"وبكُلِّ حالٍ؛ فطلبُ شرف الآخرةِ يَحصلُ معه شرف الدُّنْيَا، وإن يُردْهُ صاحبُهُ ولم يطلُبهُ، وطلبُ شرف الدُّنيا يمنع شَرفَ الآخرةِ ولا يَجتمعُ معهُ، والسعيدُ من آثَرَ الباقي عَلَى الفاني، كما في حديثِ أبي موسى، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ" لأنه كما يقال: الدنيا والآخرة ضرتان، يعني من رجحت عنده إحداهما خفت وطاشت عنده الأخرى "«مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى». خرجه الإمام أحمد وغيره.

وما أَحسنَ ما قال أبو الفتح البُسْتِيُّ رحمه الله:

أَمْرَانِ مُفْتَرِقَانِ لَسْت تَرَاهُمَا ... يَتَشَوَّقَانِ لخلطة وَتَلَاقِي

طَلَبُ الْمَعَادِ مَعَ الرِّيَاسَةِ وَالْعُلَى ... فَدَعِ الَّذِي يَفْنَى لِمَا هُوَ بَاقِي"

وبهذا يتم الكلام للإمام الحافظ ابن رجب على حديث: (ما ذئبان جائعان ... إلى آخره).

يقول: **"تم الكلام عَلَى شرح الحديث، والحمد لله عَلَى كل حال، وصلى الله عَلَى سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين."**

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.